الأمثل

الأمثل

(المختصر)

سورة الفاتحة
وسورة البقرة

العلاّمة الفقيه
الشيخ ناصر مكارم الشيرازي

إعداد حياة شمس الدين

مقدمة

(مختصرة)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

هذا الكتاب السماوي، الذي يتضمن معارف تخص الإنسان في حياته الدنيوية والأخروية، من معارف وأحكام، ومنهج حياة، وسياسة إسلامية، وحركة الفرد المعنوية والروحية نحو مقام القرب الإلهي.

وظيفة كل مسلم، تكمن في التعرف على مضامين هذا الكتاب الإلهي.

وقد ارتفعت أصوات كثيرة، تطالب بترجمة وتفسير القرآن الكريم إلى جميع لغات العالم.

هذا التفسير يتميز بالوضوح والسهولة، وقد بُذلت جهود كبيرة خلال خمسة عشر سنة لإخراج هذا التفسير بمشاركة مجموعة من العلماء الأفاضل.

وقد حظي هذا التفسير الأمثل بالإستقبال الواسع من قِبَل المسلمين السنة والشيعة، وهذا العمل هو اختصار لخمسة عشر جزءاً إلى خمسة أجزاء وقد سُمي (مختصر الأمثل)

نسأل الله تعالى التوفيق

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

كان الهدف والدافع لهذا العمل، هو فهم القرآن المجيد بطريقة واضحة ومختصرة وسهلة.

إن من يقرأ القرآن بتدبر وفهم يزداد شوقه للقراءة ويشعر بأنه يقرأ المنهج الإلهي الكامل الذي أعدَّه الله لعباده ليبيّن لهم الصراط المستقيم، ويحميهم من الضلال ويهديهم إلى طريق السعادة في الدنيا والآخرة. وقد اخترت أوسط التفاسير وهو تفسير الأمثل المختصر ولأن التفسير الأساسي مختصر. فقد استعنت بشرح من الميزان والتفسير المبين أحياناً ليكون المعنى شامل وواضح ومختصر في نفس الوقت والله ولي التوفيق.

حياة شمس الدين

سورة الفاتحة (١)

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾

سورة الفاتحة، هي سبع آيات مكيَّة

وهي أم الكتاب، وتسمى سورة الحمد، وهي السبع المثاني ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ﴾. وقد سُميت فاتحة الكتاب وهي ليست السورة الأولى في ترتيب النزول.

التفسير:

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

هي أول آية نزلت في القرآن، وقد نزلت على الرسول ﷺ ليبدأ مهمته الكبرى، والآية التي بعدها ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾ قال الرسول ﷺ: «**كل أمر ذي بال لم يُذكر فيه إسم الله فهو أبتر وينبغي الإتيان به عند افتتاح كل أمر عظيم أو صغير ليبارك فيه**».

وكلمة ﴿ٱللَّهِ﴾ هي الإسم الجامع لكل صفات الجلال والجمال وهي الكلمة التي يجب أن يعلنها كل موحد: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾.

﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾:

الرحمن تشير إلى الرحمة التي تعم كل المخلوقات والبشر.

والرحيم: هي خاصة للمؤمنين. ﴿وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمًا﴾ لأنهم استحقوها بإيمانهم وعملهم الصالح وطاعتهم.

﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾:

الحمد هو الثناء على الله، وكلمة رب تعني مالك الشيء وصاحبه، والعالمين جمع عوالم.

﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾:

يعني سيطرة الله الكاملة على كل شيء، وهو المالك الحقيقي الدائم لكل شيء، وتظهر هذه القدرة والسيطرة يوم القيامة، أما ملكية البشر في الدنيا هي وهمية وهي إلى زوال وفناء.

﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾:

طلب العون من الله وحده، لأنه القادر على الإغاثة والتكلم بصيغة الجمع لأن الصلاة تقوم على أساس الجمع والجماعة.

﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾:

أول طلب يطلبه العبد من ربه، هو الهداية إلى الطريق المستقيم، طريق الخير والعدل والإيمان، لأن الإنسان المؤمن معرَّض دائماً إلى سلب هذه النعمة، والخوف من الإنحراف عن الصراط المستقيم.

﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾:

قد يُسأل وهل الجميع ضالون حتى الأنبياء والأولياء ليطلبوا الهداية؟

والجواب: أن الهداية على طريق التكامل، والتدرج من مراحل النقصان إلى المراحل العليا من الكمال، ولأن الكمال المطلق هو لله وحده، فالأنبياء بحاجة أيضاً إلى هذا التكامل.

والذين أنعم عليهم الله هم في الآية ٦٩ من سورة النساء:

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾.

نحن نطلب صباحاً ومساءاً في سورة الحمد أن نكون على خط هؤلاء الأربعة: الأنبياء والشهداء والصديقين والصالحين.

سورة البقرة (٢)

وهي 286 آية مدنية

هذه السورة تتميز بشمولها لمبادىء العقيدة، والكثير من الأحكام العبادية، والاجتماعية والسياسية والاقتصادية. ففي هذه السورة:

١ ـ موضوعات حول التوحيد.

٢ ـ جولات في عالم المعاد، والبعث، والنشور، مقرونة بأمثال حسيَّة، مثل: قصة إبراهيم، وإحياء الطير وقصة عزير عليه السلام.

٣ ـ آيات ترتبط بإعجاز القرآن وأهميته.

٤ ـ سرد مطوَّل حول وضع اليهود والمنافقين ومواقفهم المعادية للقرآن والإسلام.

٥ ـ استعراض لتاريخ الأنبياء وخاصة إبراهيم وموسى عليهما السلام.

٦ ـ بيان لأحكام إسلامية مختلفة مثل: الصلاة والصوم والجهاد والحج، والقبلة، والزواج والطلاق، والتجارة، والدَيْن، والربا، والإنفاق، والقصاص، وتحريم بعض الأطعمة، والأشربة، والقمار، وذكر نبذة من أحكام الوصيَّة وأمثالها، وأما تسميتها بالبقرة فمأخوذ من قصة بقرة بني إسرائيل المفسَّرة في الآيات (٦٧ ـ ٣٧) وقد سُئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أي سور القرآن أفضل؟ قال: سورة البقرة، قيل: وأي آية أفضل، قال: آية الكرسي.

الآية (1 و2)

﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢﴾:

التفسير:

تسع وعشرون سورة من سور القرآن تبدأ بحروف مقطعة، وهذه الحروف هي من أسرار القرآن، وقد ذكر لها المفسرون تفاسير عديدة: أهم هذه التفاسير تقول:

إن هذه الحروف تشير إلى أن هذا القرآن يتكون من حروف هجائية، وكلمات متداولة، حيَّرت فصحاء العرب وغير العرب، وهي موجودة تحت تصرّف الإنسان، ولكنه عاجز عن صنع جُمل وعبارات شبيهة بالقرآن.

ولكن الله خلق من هذه الحروف الهجائية المتداولة، موضوعات ومعانٍ سامية، في قوالب لفظية جميلة، لا هي بالشعر ولا هي بالنثر، وعبارات موزونة، وأسلوب خاص، وقد تحدَّى القرآن بها الجن والإنس أن يأتوا بمثلها حتى يومنا هذا.

﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾، أي إن هذا القرآن لا شك فيه أنه من عند الله يهدي الذين يريدون طاعة الله.

الآية (3 و4 و5)

﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥﴾:

قسَّم القرآن الناس إلى ثلاثة أقسام:

١ ـ **المتَّقون**: وهم الذين تقبَّلوا الإسلام في جميع أبعاده.

٢ ـ **الكافرون**: هم يعترفون بكفرهم ويظهرون العداء للإسلام في القول والعمل.

٣ ـ **والمنافقون**: ولهم وجهان، مسلمون ظاهراً، وكفَّار أمام أعداء الدين. وهم في الحقيقة كفَّار، وهم يُضرّون الإسلام أكثر من غيرهم.

والآيات التي تذكر خصائص المتَّقين هي خمسة عناوين:

١ ـ الإيمان بالغيب، وبأن الموت ليس عدم وفناء بل هو نافذة تطل على عالم أوسع وأكبر.

بينما الإنسان المادي، يعتقد أن عالم الوجود محدود بما نلمسه ونراه، وهو جزء من الطبيعة ينتهي وجوده بموته.

والهوَّة كبيرة بين الرؤيتين للكون والحياة:

الرؤية الأولى تربي صاحبها على طلب الحق والعدل والخير ومساعدة الآخرين، والثانية لا تقدم لصاحبها أي مبرر على ممارسة هذه الأمور.

المؤمنين: تسود بينهم مفاهيم الطهر والتعاون والإخاء وتهيمن على الآخرين الماديين روح الإستغلال والإستعمار والنهب والسلب، ويتظاهرون بالتقدم والتطور.

٢ ـ **الصفة الثانية للمتَّقين هي**: ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ والصلاة هي رمز الإرتباط بالله، تجعل المؤمنين مرتبطين بالخالق العظيم، ولا يحنون رؤوسهم لغيره مثل هذا الإنسان، يشعر أنه أسمى من جميع المخلوقات الأخرى، لأنه مُنِحَ لياقة الحديث مع رب العالمين.

٣ ـ **المتقون يرتبطون بالناس**: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ فتكتمل العلاقة مع الله ومع الناس.

٤ ـ الإيمان بالأنبياء وبرسالاتهم الإلهية، ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾

وهم لا ينفقون أموالهم فقط، بل ينفقون علمهم ومواهبهم العقلية وطاقاتهم الجسمية، دون توقع الجزاء، لأن قلوبهم الطاهرة تجعلهم محبّين للناس ولله.

٥ ـ ﴿وَبِٱلْأَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ فهم يؤمنون بأن الإنسان لم يُخلق عبثاً، إنما له مسيرة تكاملية لا تنتهي بموته وتصل به إلى الجنَّة، والنتيجة هي النجاح والفوز والفلاح ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾.

ما هي التقوى: التقوى هي الوقاية والصيانة للنفس وهي الجهاز الذي يكبح الإنسان أمام طغيان الشهوات ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: 13] وهو شعار إسلامي خالد.

الآية (6 و7)

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝٧﴾.

التفسير

إن الإنذار لا يجدي مع هؤلاء المتعنتين، فهم غارقون في الضلال، ويرفضون الإنصياع للحق حتى لو اتضح لديهم، لأنهم يفتقدون الإرادة وهم مستسلمون لأهوائهم ونفوسهم الضعيفة والمريضة، وبسبب كفرهم وضلالهم، ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم لأنهم لا يريدون الهداية، وقد استمروا في الظلم والعدوان والكفر ومحاربة الحق ﴿بَل طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ وهذا نتيجة لكفرهم وضلالهم.

إذا تعوَّد الإنسان على انحراف واستأنس به، يكون في البداية حالة معيّنة، ثم يتحوَّل إلى عادة وبعدها يصبح إلى ملكة، وجزء من تكوينه حتى يبلغ أحياناً درجة لا يستطيع أن يتخلى عنها أبداً.

لكن هذا الإنسان، عندما اختار طريق الإنحراف هذا، فهو على علم ووعي، وهو المسؤول عن عواقب أعماله دون أن يكون في المسألة جبر، مثل شخص غطى عينيه وسدَّ أذنيه عمداً كي لا يسمع ولا يرى، فهؤلاء الكافرون هم من

وضع الغطاء على أعينهم، والرين على قلوبهم لأنهم يرتكبون الأخطاء والمعاصي والذنوب، ولا يغسلوها بالتوبة، حتى تصبح صفة ثابتة مختوم عليها في القلب يقول تعالى: ﴿كَلَّا بَلْۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: 14].

الآية: (8 و9 و10 و11 و12 و13 و14 و15 و16)

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًاۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾﴾.

التفسير:

تشير هذه الآيات الكريمة إلى المنافقين، وهم الناس الذين لا يملكون الإخلاص اللازم للإيمان، ولا القدرة اللازمة لمعارضة أهوائهم، فهؤلاء مصابون بازدواج الشخصية، ومذبذبين، فهم يتظاهرون بالإسلام، ولكن القرآن بيَّن بدقَّة مواصفاتهم، ومعايير لمعرفتهم في كل العصور والأزمان. يقول تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾.

هؤلاء يعتبرون عملهم المذبذب نوع من الشطارة والدهاء ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، وهم لا يشعرون أنهم يسيئون إلى أنفسهم، ويبددون طاقاتهم بانحرافهم ولا يجنون من ذلك إلا الخسران والعذاب الإلهي ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾.

﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ إن النفاق في حقيقته نوع من المرض فالإنسان السليم له

وجه واحد فقط وهو منسجم في روحه وفي جسده، لأن الظاهر والباطن يكمِّل أحدهما الآخر، إذا كان الإنسان مؤمناً، فالإيمان يتجلى في كل وجوده، وإذا كان منحرفاً فظاهره وباطنه يدلّان على إنحرافه.

ومن سنن الله في الكون أن من لا يعالج مرضه، يزداد ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾ والكذب الدائم يسبب لهم متاعب في الدنيا وعذاب في الآخرة، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ﴾.

ومن خصائص المنافقين، أنهم يتشدقون بالإصلاح،بينما هم يتحركون في خط التخريب والفساد. ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾.

إن الإنسان إذا تمادى في الغيّ والضلال، يفقد قدرة التشخيص، وتنقلب لديه الموازين، ويصبح الذنب والإثم جزء من طبعه.

والمنافقون بإصرارهم على انحرافهم ينظرون إلى أعمالهم وكأنها أعمال إصلاحية، وهم معتدِّين بأنفسهم ويظنون أنهم ذوو عقل وتدبير وبأن المؤمنين سفهاء وبسطاء.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ﴾.

هكذا تنقلب المعايير لدى هؤلاء المنحرفين، فيرون أن الإنصياع للحق واتباع الدعوة الإلهية سفاهة، وأن شيطنتهم وتذبذبهم تعقلاً ودراية، غير أن الحقيقة هي كما يقول الله عز وجل: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾.

والعلامة لتلوّن هؤلاء المنافقين، فهم يُظهرون الولاء للمؤمنين ولأعدائهم الشياطين.

﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾

ويردّ القرآن عليهم بلهجة حاسمة: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾.

والآية الأخيرة توضح المصير الأسود لهؤلاء المنافقين: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾.

والنفاق هو صفة هؤلاء الذين يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر والإزدواجية بين الظاهر والباطن والإفتراق بين القول والعمل وقد يكون في قلب المؤمن بعض ما نسمّيه خيوط النفاق.

معنى كلمة يعمهون: يترددون وهو عمى القلب والبصيرة.

الآية: (17 و18 و19 و20)

﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾

التفسير:

مثل المنافقين ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ في ليلة مظلمه كي يهتدي بها في الطريق ويبلغ مقصده، ﴿فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾.

لقد ظن هؤلاء أنهم قادرون أن يحققوا أهدافهم بما لديهم من إمكانات إنارة محدودة، ولكن نارهم سرعان ما انطفأت بسبب عوامل جويَّة، أو بسبب نفاد الوقود وظلوا حائرين لا يهتدون سبيلاً إن هؤلاء فقدوا كل وسيلة لإدراك الحقائق، فهم ﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾.

هذا النور الضعيف المؤقت الذي أضاء لهم، إما أن يكون إشارة إلى الضمير والفطرة التوحيدية أو إشارة الإيمان الأوّلي لهؤلاء المنافقين، حيث أسدلت عليه

ستائر مظلمة، من الذنوب والمعاصي، فتحوَّلت ساحة حياتهم إلى ظلمة بل إلى ظلمات.

إن عمر النفاق لا يدوم، قد يستطيعون أن يتمتعوا لمدة قصيرة، ولكن هذا النور الضعيف معرّض للعواصف والرياح وسرعان ما ينطفىء ويظهر الوجه الحقيقي للمنافقين.

﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

هؤلاء يحسّون في كل لحظة بخطر، لأنهم حيارى مضطربون لا دليلاً يهتدون به، خطر الرعد يهدد أسماعهم ونور البرق يذهب بأبصارهم ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

هذه الآيات تتحدث عن المنافقين في عصر نزول الوحي، ولكنها تشمل كل المنافقين في التاريخ، ونحن نرى اليوم مدى انطباق ما يقوله القرآن عن منافقي عصرنا بدقَّه نرى حياتهم واضطرابهم، ونرى تعاستهم وبؤسهم، مثل تلك المجموعة المسافرة في صحراء مقفرة وفي ليلة ظلماء موحشة.

الآية: (21 و22)

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

التفسير:

قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ وهذه العبارة تتكرَّرت في القرآن عشرون مرَّة تقريباً، مما يعني أن القرآن لا يخاطبّ بهذا النداء فئة معينة بل يُوجّه دعوته إلى البشرية عامةً لعبادة الله، وعدم الإنحراف والشرك ولأن نتيجة العبادة هي التقوى ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

والآية الكريمة تشير إلى أن الله، خالق البشر وخالف آبائهم، وكل شرك هو انحراف عن المسيرة وانحراف عن الخط الصحيح.

﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: الندّ يعني الشبيه. والشرك هو عبادة الأوثان، واتباع الهوى وهو الشرك الخفي، والإعتماد على غير الله هو شرك.

الآية: (23 و24)

﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾.

التفسير:

القرآن هو معجزة خالدة، وقد تحدَّى المنكرين أن يأتوا بسورة، من مثل هذه السّور، وإن عجزهم عن ذلك هو دليل على كذبهم.

إن معجزة القرآن ليست بحاجة إلى وجود نبيّ وهو يتعامل مع العقول والأرواح والأفكار، ويمتاز عن معجزات الأنبياء السابقين التي كان غالبها معجزات آنيَّه، بينما القرآن هو معجزةٌ دائمة يتحدى المعارضين بأن يأتوا بسورة واحدة من مثل سُوَرِهِ.

الآية: (25)

﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾.

التفسير:

في الآية السابقة تتحدث عن مصير الكافرين وفي هذه الآية تتحدث عن مصير المؤمنين. وهي تبشر المؤمنين بأن الجنَّات والبساتين التي تجري فيها الأنهار، هي تجري بشكل دائم، لا يعتريها جفاف ولا يباس. فهي نضرة دائماً، وأثمارها دائمة وهي تشبه الأثمار التي في الدنيا ولكنها تتميز بجودتها، وأن للمؤمنين في الجنَّة أزواج طاهرة قلوبهم وأجسامهم وأرواحهم. وفي هذه الجنَّة سعادة دائمة لا تزول ولا تفنى.

وفي آية أخرى من سورة التوبة الآية: ٧٢ تقول: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ أي أن رضوان الله هو أكبر من كل النعم المادية.

الآية: (26)

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٦﴾.

التفسير:

إن الله يضرب الأمثال بالصغير والكبير حسب مقتضى الحال، المهم هو أخذ العِبرة من ذلك المثل، ثم تقول الآية: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۖ﴾ لأن هؤلاء المؤمنين بإيمانهم وتقواهم بعيدون عن اللجاجة والعناد، ولا يبغون إلا الحقيقة. ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾.

الهداية والضلالة:

الهداية: هي تقوى وإيمان وعمل بالفطرة السوية.

الضلالة: هي انحراف الشخص نفسه وخروجه عن طريق الله فليس هناك إجبار من الله عندما يقول: إن الله يهدي، إن الله يضل، إنما هي الأسباب التي وضعها الله عز وجل في الخلق فينسب العمل إليه.

إن الله أعطى حق الإختيار لكل إنسان، فإما يختار الهداية وإما الضلال.

الآية: (27)

﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٢٧﴾.

التفسير:

مواصفات الفاسقين:

١ ـ ينقضون عهد الله بعد ميثاقه، هؤلاء لهم مع الله عهود ومواثيق، ولكنهم نقضوها وتمرّدوا على أوامر الله واتبعوا أهواءهم وما أراد الشيطان لهم وهذه العهود هي فطرية مودعة في نفس الإنسان ولكنه استخدم هذه الطاقات الموهوبة له في مسير منحرف.

٢ ـ ﴿وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾، يقطع الفاسقون كل ارتباط بالله، وصلة الرحم وخيانة العلاقة البشرية في التعاون والتضامن وحب الخير للإنسانية جمعاء.

٣ ـ ﴿وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ و﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ وإفسادهم في الأرض، وتبديد كل القوى المادية وإهدارها في طريق الشقاوة والتعاسة والانحراف، والنتيجة هي خسارتهم في الدنيا والآخرة.

الآية: (28 و29)

﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾.

التفسير:

كيف يكفر الإنسان، أمام معجزة الحياة بكل أسرارها، كان من العدم، ثم أصبح يتمتع بنعمة الوجود والحياة والشعور والإدراك وهذا اللغز لم ينحل حتى اليوم، وعندما تسلب منه الحياة، يعود إلى الجماد ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ

تُرْجَعُونَ﴾.

هذه الأدلَّة الواضحة على وجود الله، تناولت الحياة والموت والمعاد. ثم تشير إلى بقية النعم ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾. فالإنسان هو الهدف النهائي في خلق كل الموجودات ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾.

والإستواء هو الإحاطة الكاملة والقدرة على الخلق والتدبير ﴿فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾، فإن كل ما نراه من أفلاك ومنظومات هذه السماء هي جزء من سبع سماوات لا نعلم عنها شيئاً.

الآية: (30 و31 و32)

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾﴾.

التفسير:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ الخليفة أي نائباً له على الأرض.

﴿قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ استفسر الملائكة عن سبب اختياره للإنسان. ﴿قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ الملائكة كانوا يظنون أن الهدف من الخلق هو العبودية والطاعة، وهم المصداق الكامل للطاعة والعبادة، ولكن آدم كان له قابلية خارقة لفهم الحقائق ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾؛ عندما عَلِمَ الملائكة القدرة الخارقة عند آدم تراجعوا وقالوا: ﴿قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾، وكان آدم قد شرح أسماء الموجودات واسرارها أمام الملائكة، عند ذلك اتضح للملائكة أن الإنسان هو الذي يليق بخلافة الأرض.

الآية: (34 و35 و36)

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾﴾.

التفسير:

بعد أن تبيَّن بشكل واضح شرف آدم وعظمته أمر الله الملائكة بالسجود له، لأنه مخلوق لائق لخلافة الأرض، ومؤهل للشوط الكبير من التكامل وتربية أبناء عظام كالأنبياء.

وإبليس هو إسم للشيطان الذي وسوس لآدم، وهو لم يكن من الملائكة ولكن كان في صفوفهم وهو من الجن وهي مخلوقات ماديَّة ولكن لا تُرى.

لم يسجد إبليس لأنه اعتقد أنه أفضل من آدم، وهذا يعدّ تكبراً وغروراً، واعتقد بعدم صوابية الأمر الإلهي فهو لم يعصِ فقط، بل انحرف عن التوحيد، وذهبت كل عبادته أدراج الرياح وهذه نتيجة التكبر والغرور ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾؛ وكان الأمر الإلهي بالسجود لآدم هو سجود خضوع لا عبادة.

﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾، يستفاد من آيات القرآن، أن آدم خُلِقَ للعيش على هذه الأرض، ولكن شاء الله أن يسكن قبل ذلك تلك الجنة، وهي جنَّة خضراء موفورة النعمة في هذا العالم.

﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾، وصدر لهما الأمر الإلهي بالهبوط عند ذلك فهِم آدم أنه ظلم نفسه بعد أن أطاع الشيطان وهبط من مرتبتِهِ إلى التعب والمشقة والعناء والإمتحان الإلهي الجديد. والهبوط لم يكن مكانياً، ولكن بالمقام والمرتبة المعنوية والجنة لم تكن الخالدة التي وعد الله بها المتقون، وليس للشيطان أن يدخلها.

وكلمة شيطان تشمل أفراد البشر المفسدين والمعادين للدعوة الإلهية، ولم يُخلَق الشيطان شيطاناً، وقد خُلق بفطرة طاهرة، ولكنه أساء التصرف وعزم على الطغيان والتمرد واختار طريق الانحراف، والشياطين لا تضر المؤمنين المخلصين، ولكن مقاومة الشيطان تجعل من المؤمن يسير في طريق التكامل والتقدم، وهذا يتم من صراع الأضداد.

الآية: (37 و38 و39)

﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ٣٧ قُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ مِنۡهَا جَمِيعٗاۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٣٨ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٣٩﴾.

التفسير:

بعد أن وسوس إبليس لآدم وزوجته، صدر الأمر الإلهي بالخروج من الجنَّة، أدرك آدم أنه ظَلَمَ نفسه فتاب واتجه بكل وجوده إلى ربه وهو نادم أشد الندم ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ﴾، تاب الله على آدم، ولكن الأثر الوضعي لآدم لم يتغيَّر ﴿قُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ مِنۡهَا جَمِيعٗاۖ...﴾.

الكلمات التي دعا فيها آدم ربَّه موجودة في الآية (٢٣) من سورة الأعراف: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾.

الآية: (40)

﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ٤٠﴾.

التفسير:

بعد أن تحرَّر بني إسرائيل من السيطرة الفرعونية، نسوا العهد الإلهي، وسقطوا في حضيض الانحراف والعذاب والمشقَّة، والأوامر الإلهية التي نسيها بنو إسرائيل، هي منهج للبشرية جمعاء، وهي ثلاثة أمور:

ـ تذكرُّ النعم الإلهية، الوفاء بعهد الله والخوف منه.

ميثاق بني إسرائيل الإلهي يتكوَّن من اثني عشر بنداً:

عشرة منها ذكرت في آية (٨٣ و٨٤) من سورة البقرة واثنان ذُكرا في هذه الآية من سورة المائدة الآية، ١٢: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾.

﴿وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾: يجب أن لا تكسر حواجز الخوف من الله وبالوفاء بالعهد الإلهي، من يخاف الله لا يخاف من أحدٍ سواه.

الآية: (41 و42 و43)

﴿وَءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓا۟ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ ۖ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾.

التفسير:

في هذه الآيات تسعة بنود من العهد الذي أخذه الله مع اليهود.

وقال عز وجل: ﴿وَءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾، إن البشائر والأوصاف التي جاءت بها التوراة والكتب السماوية الأخرى بشأن النبيّ الخاتم وعلى القرآن الذي أنزل معه، فلِما لا تؤمنون به؟ ثم يقول سبحانه: ﴿وَلَا تَكُونُوٓا۟ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ﴾، ولا

عجب إذا كفر الوثنيون والمشركون، بل العجب في كفركم لأنكم أهل الكتاب!

﴿وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ ﴿وَإِيَّـٰيَ فَٱتَّقُونِ﴾ الخطاب موجَّه إلى زعماء اليهود، والذين يخشون أن ينقطع رزقهم، وعليهم أن يخشوا الله وحده، والله هو الرزاق.

في البند الخامس: ﴿وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ أي لا تخلطوا الحق بالباطل.

السادس: ﴿وَتَكْتُمُواْ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

والبند السابع والثامن والتاسع: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾، كلمة ﴿وَأَقِيمُواْ﴾ إشارة إلى إقامة الصلاة بالركوع والسجود والقيام، وعدم الإكتفاء بالأذكار والأوراد.

هذه الأوامر هي ليست لليهود فقط بل لكل البشر، وهي ارتباط الفرد بخالقه عن طريق الصلاة، والإرتباط بالمخلوق عن طريق الزكاة، وإرتباط البشر بعضهم ببعض عن طريق الله٤,

الآية: (44 و45 و46)

﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾﴾.

التفسير:

الآية الأولى، هي خطاب موجَّه إلى اليهود وعلمائهم، كانوا يقولون للناس آمنوا بمحمد ﷺ ويتركون أنفسهم ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

لأنهم كانوا يخشون على مراكزهم وتفرق الناس عنهم إن اعترفوا برسالة محمد ﷺ مع أنهم يقرأون التوراة الأصلية التي وردت فيها صفات النبي الخاتم ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾.

أي عليكم أيها المؤمنون أن تكونوا من الصابرين والمصلين الخاشعين لله لأن طاعة الله أمر كبير يحتاج إلى الصدق والإيمان وخشية الله وحده، لا كما فعل زعماء اليهود.

والآية الأخيرة هي وصف للخاشعين: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾. الظن هنا بمعنى اليقين القطعي، فالتربية على الإيمان بالمعاد تجعل الفرد يتذكر دائماً مشهد يوم القيامة، فيدفعه ذلك للنهوض بالمسؤولية.

الآية: (47 و48)

﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾﴾.

التفسير:

هذه الآيات تذكِّر بني إسرائيل بالنعم التي أنعمها الله عليهم، هذه النعم سابغة واسعة، ابتداءٍ بالإيمان وانتهاءاً بالنجاة من فرعون ونيل الحرية، وتشير الآية بالتفضيل أي بكثرة النعم التي خصَّهم بها بسبب الظروف التي مرّوا بها، وليس لأنهم أفضل من غيرهم.

﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾﴾، وهذه الآية تبين لليهود أن لا يتوهموا بأن أحداً سيشفع لهم ويدفع عنهم الفدية بدل ذنوبهم، كدفعهم الرشوة في الحياة الدنيا، فالحاكم والقاضي العادل هو الله، لا يقبل سوى العمل الصالح.

يعتقد اليهود بأن التكفير عن الذنوب يكون بتقديم قربان الخطيئة وقربان السلامة، وأفكار خرافية للفرار من العقاب الإلهي.

إن العقوبات الإلهية التي تنزل بالإنسان، هي ليست للإنتقام ولكن لضمان تنفيذ القوانين الإلهية وهي تؤدي إلى تقدم الإنسان وتكامله، وتُضعف الجرأة على ارتكاب المعاصي والذنوب.

الشفاعة: الشفاعة بمعناها الصحيح هي وسيلة لعودة المذنبين وتوبتهم، وبمعناها الخاطىء تشجع على ارتكاب الذنوب كما يعتقد اليهود بأن أنبيائهم سيشفعوا لهم مهما كانت ذنوبهم.

وهناك مجموعة من الناس تنكر الشفاعة، كالوهابيين وقد استندوا إلى الآية: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ﴾ دون الالتفات إلى بقية الآيات التي تتعلق بالشفاعة ولكن الشفاعة بالمفهوم الإسلامي الصحيح، هي شفاعة مقيَّدة، لأن هناك ذنوب كظلم الآخرين هي خارجة عن دائرة الشفاعة، حيث يقول القرآن: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾.

الشفاعة هي للذين ارتضوا الإلتزام بالعهد الإلهي حيث يقول القرآن: ﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ [مريم: 87].

الآية: (49)

﴿وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾.

التفسير:

من النِعَم الكبيرة التي منَّ الله بها على بني إسرائيل، هي تحريرهم من آل فرعون.

البلاء: يعني الإمتحان.

الحوادث والمصائب التي نزلت ببني إسرائيل كانت امتحاناً لهم، وقد أتاهم بلاء بمثابة عقاب لهم لأنهم سبق لهم أن كفروا بنعمة الله، فكان ما أصابهم من آل فرعون امتحان جديد وبلاء عظيم.

ويستحيون نساءكم: أي يتركوهن أحياء.

الآية: (50)

﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾﴾.

التفسير:

قضية غرق آل فرعون في البحر، ونجاة بني إسرائيل ورَدَت في سور عديدة: الأعراف، الأنفال، الإسراء والشعراء، والزخرف، والدخان.

تشير هذه الآية إلى المعجزة الإلهية التي أنعم الله بها على بني إسرائيل، والهدف منها هو تذكيرهم لأن يشكروا الله وتدعوهم للسير على طريق الرسالة الإلهية المتمثلة في دين النبي الخاتم.

وهي عبرة وتذكير لكل البشر بأن الإمداد الإلهي يشمل كل أمة تسير بجد وإخلاص على طريق الله.

الآية: (51 و52 و53 و54)

﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾﴾.

التفسير:

هذه الآيات الأربع تحكي عن أكبر انحراف أصيب به بني إسرائيل في تاريخهم الطويل وهو الانحراف عن مبدأ التوحيد، والإتجاه إلى عبادة العجل نتيجة إغواء الغاوين منهم.

بعد ذلك جاءهم موسى بالتوراة وفيها الهداية التشريعية ثم أشار القرآن إلى طريقة التوبة التي طرحها على بني إسرائيل.

إن عبادة العجل لم تكن مسألة هيّنة لأن بني إسرائيل شاهدوا الآيات والمعجزات من موسى عليه السلام ثم نسوا ذلك كله دفعة واحدة، وخلال فترة قصيرة من غياب موسى، انحرفوا عن مبدأ التوحيد، من أجل ذلك كانت الأوامر الإلهية بالتوبة الشديدة، وهي إعدام جماعي لعدد كبير من المذنبين على أيديهم أنفسهم. وقد جاء في الأخبار أن موسى أمر في ليلة ظلماء كل المنحرفين الذين عبدوا العجل أن يغتسلوا ويرتدوا الأكفان ويعملوا السيف بعضهم بالبعض الآخر.

الذنب كبير، وهو يهدد جميع الأديان السماوية التي ترتكز على التوحيد، فلو تساهل موسى عليه السلام لأمكن أن تبقى سُنَّةً للأجيال التي تأتي بعد ذلك.

ولأن بني إسرائيل كانوا على مر التاريخ متعنتين لجوجين، فيجب أن يُحاسبوا بعقاب صارم يبقى رادعاً للأجيال التالية بعدم السقوط في هاوية الشِرك.

الآية: (55 و56)

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾.

التفسير:

هذا الطلب برؤية الله جهرة تنم عن جهل بني إسرائيل وعدم فهمهم التوحيد الصحيح، ولكن الله شاء أن يُري هؤلاء ظاهرةً من خلقه لا يطيقون رؤيتها، فما بالك برؤية الله تعالى.

نزلت الصاعقة على الجبل وصحبها برق شديد ورعد وزلزال مروّع فتركهم على الأرض صرعى من شدة الخوف ﴿فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾.

اغتمَّ موسى لما حدث، لأن هلاك سبعين نفراً من كبار بني إسرائيل قد يثير ضجةً في وجهه، لذلك تضرَّع إلى الله أن يعيدهم إلى الحياة فقُبل طلبه، ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

هذه الآية تشير إلى إمكان الرجعة في الحياة الدنيا بعد الموت.

الآية: (57)

﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾﴾.

التفسير:

بعد أن نجا بنو إسرائيل من الفراعنة، أُمروا أن يتجهوا إلى فلسطين، ولكنهم عصوا هذا الأمر وقالوا إن في فلسطين قوماً جبارين، وتركوا مواجهة هؤلاء القوم لموسى وحده قائلين:

﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ [المائدة: 24]. تألّم موسى ودعا ربّه: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [المائدة: 25]، فكتب عليهم التيه أربعين عاماً في صحراء سيناء ولكن مجموعة من التائهين ندموا، وتضرعوا إلى الله فغفر لهم وأنزل عليهم من نعَمِهِ التي تشير الآية إلى بعضها ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ﴾ والظل له أهمية كبرى في الصحراء القاحلة تحت حرارة الشمس ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ﴾ ولكنهم عادوا بعد ذلك إلى الكفر ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

المن: هو نوع من العسل لأن الأرض كان فيها أزهار برية.

والسلوى: هو طير يأتي إلى سيناء بأسراب كبيرة، وكان بنو إسرائيل يتغذون بلحومها.

الآية: (58 و59)

﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا

وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطَٰيَٰكُمۡۚ وَسَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوۡلًا غَيۡرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمۡ فَأَنزَلۡنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ﴿٥٩﴾﴾.

التفسير:

القرية هنا هي بيت المقدس.

والحطّة: حط الذنوب (أي الدعاء إلى الله بغفران الذنوب ﴿وَسَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ أي أن الله سيزيد الأجر والثواب بالإضافة إلى غفران الذنوب.

يحدثنا القرآن عن عناد مجموعة من بني إسرائيل حتى في ترتيل الإستغفار، فهؤلاء بدَّلوا العبارات، بعبارات فيها سخرية واستهزاء، ﴿فَأَنزَلۡنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ﴾.

الرجز: العذاب، لقد أصاب بني إسرائيل نوع من الطاعون فشا فيهم بسرعة، وأهلك جمعاً منهم، هذا الرجز نزل على الذين ظلموا ولم يشمل الجميع.

تبيّن هذه الآية سنَّة من سنن الله تعالى عندما تعم الذنوب مجتمعاً يقترب منهم العذاب الإلهي.

الآية: (60)

﴿وَإِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ فَقُلۡنَا ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنفَجَرَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ قَدۡ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٖ مَّشۡرَبَهُمۡۖ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ مِن رِّزۡقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴿٦٠﴾﴾.

التفسير:

عندما كان بنو إسرائيل في صحراء قاحلة، وهم في أمسّ الحاجة إلى الماء، طلب موسى من الله عز وجل: ﴿وَإِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ﴾ فتقبَّل الله طلبه وأمر نبيَّه أن يضرب الحجر بعصاه.

﴿فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًاۖ﴾ بعدد قبائل بني إسرائيل.

﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْۖ﴾ كانت كل قبيلة تشرب من العين التي تخصها.

﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾، نهى الله سبحانه بني إسرائيل عن العِثيّ والفساد.

العثيّ: الفساد الشديد، يبدأ بالفساد وينتهي بالعثي.

الآية: (61)

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَاۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾﴾.

التفسير:

طالب بنو إسرائيل نبيَّهم بأطعمة متنوعة بدل الطعام الواحد الذي هو المنَّ والسلوى.

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَاۖ﴾ فقال لهم موسى عليه السلام: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْۗ﴾. أي أنكم تعيشون الآن في الصحراء، والله يريد أن يختبر صبركم وتقواكم لتصبحوا مؤمنين أقوياء، ولكنكم لم تصبروا وتريدون الأطعمة المتنوعة والملذات، إذهبوا إلى المدينة حيث التنوع وتعدد أصناف المأكولات.

ويضيف القرآن: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾.

الآية: (62)

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلصَّـٰبِـُٔونَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾.

التفسير:

تجيب هذه الآية عن أسئلة كانت تطرح في بداية ظهور الإسلام من بعض أصحاب النبي ﷺ تدور حول مصير آبائهم وأجدادهم الذين لم يدركوا عصر الإسلام، هل سيؤاخذون على عدم إسلامهم وإيمانهم؟

تقول الآية أن كل أمة عملت في عصرها بما جاء نبيّها من تعاليم السماء، وعملت صالحاً فإنها ناجية، فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

فاليهود العاملون ناجون قبل ظهور السيد المسيح، والمسيحيون ناجون قبل ظهور نبيّ الإسلام، وتطرح هذه الآية الكريمة مبدأ في التقييم وفق المعايير الإلهية، وهذا المبدأ ينص على ان: (الإيمان والعمل الصالح) هما أساس تقييم الأفراد، وليس أي شيء آخر من مظاهر وادّعاءات.

وبعض المضلّلين اتخذوا من الآية الكريمة شُبهة مفادها أن العمل بأي دين من الأديان يكفي ولا ضرورة للإسلام ولكن القرآن يفسَّر بعضه بعضاً، ويقول في الكتاب العزيز: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: 85].

هناك تفسيران من أوضح وأنسب ما ذكره المفسرون:

١ ـ لو عمل اليهود والنصارى وغيرهم من أتباع الأديان السماوية بما جاء في كتبهم لآمنوا حكماً بالنبيّ ﷺ لأن بشارات الظهور وعلامات النبي وصفاته مذكورة في الكتب السماوية.

والخلاصة: هي أن التسليم لله رب العالمين والذي هو بمعنى الإسلام غاية كل الأديان السماوية.

الآية: (63 و64)

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۖ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾﴾.

التفسير:

أخذ الله ميثاقاً من بني إسرائيل بشأن العمل بالتوراة، فنقضوا الميثاق.

والميثاق هو توحيد الله، والإحسان إلى الوالدين والأقربين، واليتامى، والمساكين، والقول الصالح، وإقامة الصلاة، وأداء الزكاة، واجتناب سفك الدماء، والإيمان بجميع الأنبياء ومساندتهم، والإنفاق في سبيل الله، ومواد هذا الميثاق وردت في التوراة الحقيقية وهذا الميثاق ضَمِنَ للقومِ بدخول الجنَّة إن عملوا به.

﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾، يقول أحد المفسرين:

حدث هذا حين رجع موسى من الطور فأتى بالألواح وقال لقومه: جئتكم بالألواح وفيها التوراة من حلال وحرام، ولكن بني إسرائيل لم يعملوا بهذه التعاليم، وقالوا من يقبل ذلك؟! فأرسل الله سبحانه وتعالى الملائكة فرفعوا الطورَ فوق رؤوسهم وقال موسى:

إن قبلتم ما آتيناكم به وإلا أرسَلَ الملائكة الجبل فوق رؤوسكم، عندئذ سجدوا لله تعالى وهم ينظرون إلى الجبل من طرف خفي خوفاً. وصار اليهود بعد ذلك يسجدوا على أحد شقيّ وجوههم.

إن إرغام المعاندين المتمردين على الرضوخ للحق بالقوة هو إرغام مؤقت، الهدف منه كسر أنفتهم وعنادهم وغرورهم ثم دفعهم من بعد ذلك للتفكير الصحيح كي يؤدوا واجباتهم بعد ذلك عن إرادة واختيار.

على أي حال إن هذا الميثاق يرتبط بالمسائل العملية لا بالجانب الاعتقادي، فالمعتقدات لا يمكن تغييرها بالإكراه.

﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ﴾ هذا الأمر الإلهي يتجه إلى كل أتباع الأديان الإلهية في كل زمان ومكان، لأن يقوموا بالدين والواجبات بحزم وقوَّة وبدون تردد لصيانة هذا الخط التوحيدي وإقامة حكم الله على الأرض.

الآية: (65 و66)

﴿وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعۡتَدَوۡاْ مِنكُمۡ فِي ٱلسَّبۡتِ فَقُلۡنَا لَهُمۡ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلۡنَٰهَا نَكَٰلٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهَا وَمَا خَلۡفَهَا وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾﴾.

التفسير:

تتحدث هاتان الآيتان، كالآيات السابقة عن روح العصيان والتمرد المتغلغلة في اليهود والتصاقهم الشديد بالمسائل الماديَّة.

﴿وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعۡتَدَوۡاْ مِنكُمۡ فِي ٱلسَّبۡتِ فَقُلۡنَا لَهُمۡ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ والآية التي بعدها:

﴿فَجَعَلۡنَٰهَا نَكَٰلٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهَا وَمَا خَلۡفَهَا﴾ أي جعلنا هذا العقاب عِبرة لهذه الأمة من اليهود ولأمم غيرها تليها ﴿وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ﴾.

ملخص الحادثة:

أمر اليهود أن يقطعوا أعمالهم يوم السبت (أن يسبتوا) هذا الأمر شمل القاطنين قرب البحر، والذين يعيشون على صيد الأسماك، وشاء الله أن يختبر

هؤلاء، فكثرت الأسماك يوم السبت قرب الساحل، بينما ندرت في بقية الأيام، فصار هؤلاء يتحايلون لصيد الأسماك يوم السبت، فعاقبهم الله على عصيانهم وصاروا ممسوخين مطرودين من رحمة الله، عبرة لغيرهم.

الآية: (67 و68 و69 و70 و71 و72 و73 و74)

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ ۖ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا ۖ وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَـْٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾.

التفسير:

قصة بقرة بني إسرائيل؛ هذه الآيات تتحدث بالتفصيل عن حادثة أخرى من حوادث تاريخ بني إسرائيل. والحادثة كما بيَّنها القرآن وكتب التفسير تقول:

قُتل شخص من بني إسرائيل بشكل غامض، ولم يُعرف القاتل، عند ذلك حدث نزاع بين قبائل بني إسرائيل بشأن هذه الحادثة، كل قبيلة تتهم الأخرى، توجَّهوا إلى موسى ليقضي بينهم، لم تكن الأساليب الإعتيادية ممكنة في هذا القضاء، وما كان بالإمكان إهمال هذه المسألة، لما سيترتب عليها من فتنه بين بني إسرائيل، لجأ موسى إلى ربّه ودعاه، وكانت هذه الطريقة الإعجازية، لحل

هذه المسألة، كما ستوضحها الآيات الكريمة، يقول سبحانه في هذه الآيات:

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُواْ بَقَرَةً قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ أجاب موسى: ﴿قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ أي أن الإستهزاء هو من عمل الجاهلين، وأنبياء الله مبرّؤون من ذلك. بعد أن أيقنوا جدّية المسألة ﴿قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ﴾ وعبارة ربُّك تكثر في خطاب بني إسرائيل لموسى وتنطوي على نوع من إساءة الأدب والسخرية، وكأن رب موسى غير ربّهم!.

أجابهم موسى قائلاً: ﴿يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ أي أنها لا كبيرة هرمة ولا صغيرة، بل متوسطة بين الحالتين ﴿فَٱفْعَلُواْ مَا تُؤْمَرُونَ﴾ لكن بني إسرائيل لم يكفّوا لجاجتهم: ﴿قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا﴾ أجابهم موسى: ﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ﴾ أي أنها حسنة الصفرة لا يشوبها لون آخر.

لم يكتف بنوا إسرائيل بهذا وعادوا و﴿قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ﴾ طالبين مزيداً من التوضيح متذرعين بالقول: ﴿إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾.

أجابهم موسى: ﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ﴾ أي أنها ليست من النوع المذلَّل لحرث الأرض وسقيها، مّسلمَّة) من العيب لا شيَّة فيها: أي ليس فيها لون آخر غير لونها الأساسي، حينئذ قالوا: ﴿قَالُواْ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ﴾ ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ﴾ أي أنهم بعد أن وجدوا بقرة بهذه الصفات ذبحوها بالرغم من عدم رغبتهم بذلك بعد أن ذكر القرآن تفاصيل القصة، عاد فلخص الحادث بآيتين:

﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَْٔتُمْ فِيهَا﴾ أي اختلفتم بالقتل وتدافعتم فيه: ﴿وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا﴾ أي اضربوا المقتول ببعض أجزاء البقرة كي يحيا ويخبركم بقاتله:

﴿كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ بعد هذه الآيات

والمعجزات لم تلن قلوب بني إسرائيل، بل بقيت على قسوتها وغلظتها وجفافها: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾.

﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾.

﴿ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾: إن الله يعلم ما تنطوي عليه القلوب وما تفعله الأيدي من أعمال.

العبرة في هذه القصَّة، أولها قدرة الله اللامتناهية والتأكيد على المعاد، إضافة إلى أن هذه القصة تعلمنا أن لا نتشدّد ولا نتزمّت في الأمور كي لا يتشدد الله معنا.

وأخيراً لعلَّ ذبح هذه البقرة يستهدف غسل أدمغة هؤلاء القوم من عبادة العجل.

الآية: (75 و76 و77)

﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾﴾.

التفسير:

كان قوم من اليهود من غير المعاندين، إذا لقوا المسلمين حدّثوهم بما في التوراة من صفات محمد ﷺ فنهاهم كبراءهم عن ذلك، وقالوا لا تخبروهم بما في التوراة، فيحاجوكم به عند ربكم. فنزلت هذه الآية: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾، والآية الثانية تلقي الضوء على حقيقة هذه الزمرة المنافقة فتقول:

﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

إن إيمان هؤلاء اليهود كان ضعيفاً لدرجة أنهم تصوروا أن الله مثل أي إنسان عادي، فإذا خفي الأمر على المسلمين فسيخفى على الله أيضاً فتقول الآية: ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾.

الآية: (78 و79)

﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾﴾.

التفسير:

عمَدَ جمعٌ من علماء اليهود إلى تغيير صفات النبي محمد ﷺ في التوراة وأبدلوها بصفات أخرى، كي يموّهوا الأمر على الجَهَلة من اليهود الأميين ويستمروا بالإستفادة من أموالهم وعطاياهم، فإذا سألوا علمائهم عن هذا النبي الجديد قرؤا لهم الآيات المحرَّفة من التوراة لإقناعهم.

واليهود ينقسموا إلى مجموعتين: أميّين وعلماء ماكرين يقول الله تعالى عن الأميّين: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾.

الأمي: هو غير القارىء، سمّوا كذلك لأنهم لم يتعلموا وبقوا كما ولدتهم أمهاتهم.

والأماني: جمع أمنية والآية تشير إلى الأوهام التي كان يظن بها اليهود عن أنفسهم كقولهم: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ والعلماء منهم كانوا يحرّفون الحقائق لتحقيق مصالح دنيوية.

الآية: (80 و81)

﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةٗۚ قُلۡ أَتَّخَذۡتُمۡ عِندَ ٱللَّهِ عَهۡدٗا فَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ عَهۡدَهُۥٓۖ أَمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨٠ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةٗ وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٨١﴾.

التفسير:

إن اعتقاد اليهود بأنهم شعب الله المختار، وأن مذنبيهم لن يدخلوا جهنم سوى أياماً قليلة، هذا الإدّعاء لا ينسجم مع أي منطق والآية الكريمة تدحض مزاعمهم بدليل منطقي فليس هناك عهد بينهم وبين الله وهم يكذبون على الله: ﴿قُلۡ أَتَّخَذۡتُمۡ عِندَ ٱللَّهِ عَهۡدٗا فَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ عَهۡدَهُۥٓۖ أَمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾، ثم تبين الآية التالية قانوناً يقوم على أساس العدل والمنطق وتقول:

﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةٗ وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٨١﴾ وهذا القانون يشمل المذنبين من كل فئة وقوم.

وهناك قانون أيضاً عام وشامل بشأن المؤمنين الأتقياء وهو: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

الآية: (82 و83 و84 و85 و86)

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٨٢ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَانٗا وَذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنكُمۡ وَأَنتُم مُّعۡرِضُونَ ٨٣ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ لَا تَسۡفِكُونَ دِمَآءَكُمۡ وَلَا تُخۡرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ ثُمَّ أَقۡرَرۡتُمۡ وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ ٨٤ ثُمَّ أَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تَقۡتُلُونَ أَنفُسَكُمۡ وَتُخۡرِجُونَ فَرِيقٗا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمۡ تَظَٰهَرُونَ عَلَيۡهِم بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَإِن يَأۡتُوكُمۡ أُسَٰرَىٰ

تُفَـٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَـٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾﴾.

التفسير:

يُندِّد القرآن في هذه الآيات باليهود لنقضهم هذه العهود ويتوعدهم بالخزي في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ثم يشير القرآن إلى تناقض مواقفهم إذ يحاربون أبناء جلدتهم ويخرجونهم من ديارهم، هذا الإنحراف سبَّب لهم الذل والإنحطاط في الدنيا والآخرة.

ومن عوامل سقوط الأمم وتفكك المجتمع هو عدم الإلتزام بالأحكام الإلهية.

الآية: (87 و88)

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَأَيَّدْنَـٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾.

التفسير:

كان بنو إسرائيل يتعاملون مع بعثة الأنبياء كما تهوى أنفسهم، فكانوا إما يقتلون النبي وإما يُكذِّبونه.

وقالوا قلوبنا غُلف استهزاءً، غير أن القرآن أيدَّ مقالتهم لأن كفرهم ونفاقهم غطّى قلوبهم بحُجُبٍ من الذنوب والظلمات وابتعدوا عن رحمة الله، وعن النور الإلهي.

روح القدس: هو جبرائيل أو قوّة غيبية.

والقدس: معناها الطهارة والقداسة الفائقة وروح القدس هو قوة غيبية موجودة عند المؤمنين بشكل أضعف من الأنبياء، كلٌّ حسب إيمانه، وهو إمداد إلهي يُعين الإنسان في أداء الطاعات وتحمُّل المصاعب، ويَقيهِ من الزلّات والمعاصي.

الآية: (89 و90)

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾﴾.

التفسير:

كان بنو إسرائيل يعتقدون أن النبي سيكون منهم وعندما نزل القرآن على غيرهم كفروا به وهذه الآيات تتحدث عن مواقفهم.

هؤلاء هاجروا ليتخذوا من يثرب سكناً بعدما وجدوا فيها من علامات أنها أرض الرسول المرتقب، وبقوا فيها ينتظرون بفارغ الصبر، النبي الذي بشَّرت به التوراة، وكانوا يقولون للكفار من أهل يثرب، عندما يُبعث محمد لنخرجنكم من ديارنا وأموالنا، فلما بعث الله محمد ﷺ آمنت به الأنصار، وكفرت به اليهود:

﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ وقد تحوّلوا من طلاب حقيقة إلى أعداء بسبب الأهواء والمصالح الشخصية: ﴿فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾.

الآية: (91 و92 و93)

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُواْ ۖ قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾.

التفسير:

اليهود لم يؤمنوا بالإنجيل ولا بالقرآن وقد تجرَّءوا على رفض دعوة الحق التي جاءت تصدق لما معهم من التوراة: ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ﴾ وهم يدَّعون أنهم مؤمنين بالتوراة، فهل التوراة تبيح لهم قتل الأنبياء، ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾، ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ وقد خالفوا ميثاق جبل الطور، ونقضوا العهود والمواثيق الإلهية لشدَّة تعلقهم بالدنيا: ﴿قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

الآية: (94 و95 و96)

﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ۛ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾.

التفسير:

اليهود يعتبرون أنفسهم فئة متميزة في العنصر ومتفوّقة على سائر البشر، وأن الجنة خُلقت لهم، وأن نار جهنم لن تمسَّهم، وأنهم أبناء الله وخاصّته، وأنهم يحملون جميع الفضائل والمحاسن.

القرآن يجيب على هؤلاء ويقول: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ وهم يعلمون ملف أعمالهم الظالمة والسوداء، لذلك لا يتمنون الموت لأنهم سيُحاسبوا على أعمالهم ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ وهم أحرص من غيرهم على جمع المال، وقد بلغ حرصهم أشد من حرص المشركين ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ﴾ وطول العمر الذي يتمنوه لن يزحزحهم عن العذاب أي لن يبعدهم ﴿وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ﴾.

الآية: (97 و98)

﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾.

التفسير:

منذ زمن موسى عليه السلام مروراً بعصر النبي الخاتم عليه السلام حتى يومنا هذا، كانت حجَّة اليهود، تقل التكاليف التي يأتي بها جبرائيل، والقرآن الكريم يصرِّح ويقول: و ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ﴾ [التحريم: 6]، وما جاء به جبرائيل يُصدِّق ما نزل في الكُتب السماوية السابقة. ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ ﴿وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ والموقف المعادي لأحد الملائكة هو معادي للآخرين.

﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾.

وفي بعض الأحاديث يُذكر أن جبرائيل كان ينزل على النبي ﷺ في المدينة على صورة (دُحية الكلبي) وهو رجل جميل الطلعة وفي سورة النجم، ذُكِرَ أن الرسول شاهده مرتين على هيئته الأصلية، وجبرائيل وميكائيل هما ملكان مقرَّبان من ملائكة الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [النجم: 13 ـ 18].

الآية: (99 و100 و101)

﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُمْۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾﴾

التفسير:

الآية الأولى تشير إلى أن الآيات والعلامات الكافية والواضحة التي توفرت لدى رسول الله ﷺ والتي تؤكد أن المعرضين عن هذه الآيات البيّنات، أدركوا أن الدعوة حقَّة، ولكنهم هبّوا لمحاربتها بسبب مصالح شخصيّة ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ﴾، ثم يذكر القرآن صفة اليهود بنقض المواثيق والعهود التي تلازمهم على مرّ التاريخ ﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُمْۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾، كان أحبار اليهود يبشرون الناس قبل البعثة النبوية بالرسول الموعود ويذكرون لهم علاماته وصفاته، فلما بُعِثَ نبي الإسلام أعرضوا عما جاء في كتبهم، وكأنهم لم يقرأوه في التوراة.

(النزول) ليس الإنتقال المكاني بلا هو إشارة إلى (علو مكانه رب العالمين) والحديث عن اليهود في القرآن يستعمل كلمة فريق وأكثر ليصون حق الأقلية المؤمنة.

الآية: (102 و103)

﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ۚ لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾﴾.

التفسير:

يفهم من الأحاديث، أن مجموعة من الناس مارست السحر في عصر سُليمان عليه السلام فأمر النبي سليمان بجمع أوراقهم وكتاباتهم واحتفظ بها في مكان خاص، وبعد وفاة سليمان، عمدت جماعة إلى إخراج هذه الكتابات وبدأوا بنشر السحر وتعليمه، وقد أشاعت فئة منهم أن سليمان لم يكن نبيًّا.

وقد لجأت مجموعة من بني إسرائيل إلى السحر مع هؤلاء الذين تعلَّموا السحر، وتركوا تعاليم التوراة. وعندما ظهر النبي الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم جاءت آيات القرآن مؤيدة لسليمان، وقال بعض أحبار اليهود: ألا تعجبون من محمد يقول عن سليمان أنه نبيّ وهو ساحر!

وقد جاءت هذه الآية ترد على هؤلاء وتنفي هذه التهمة عن سليمان: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ﴾، والشياطين هم الطغاة من البشر أو

الجن أو من كليهما ثم تؤكد الآية نفي الكفر عن سليمان: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ﴾، فإن سليمان لم يلجأ إلى السحر، ولكن الشياطين من الإنس والجن الذين كفروا علَّموا الناس السحر.

هاروت وماروت ملكان إلهيان جاؤوا في وقت راج فيه السحر بين الناس، وابتلوا بالسحرة والمشعوذين، وكان هدفهما تعليم الناس إبطال السحر، وكان ذلك يحتاج إلى تعليم الناس أصول السحر، ولكنهما كانا يقولان لكل من تعلَّم السحر أن لا يقع في الفتنة، ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾، ولكن هذه المجموعة من اليهود سقطوا في الفتنة وانحرفوا وزعموا أن قدرة سليمان لم تكن من النبوَّة، بل من السحر ولم ينجحوا في الإختبار الإلهي، فأخذوا العلم من الملكين واستغلّوه على طريق الإفساد، لا الإصلاح، ولكن قدرة الله فوق قدرتهم: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾

لقد باعوا شخصيتهم الإنسانية بهذا المتاع الرخيص ﴿وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾، فالإلتزام بالتوحيد الحقيقي، يجعل الإنسان بعيد عن كل هذه الأمور، لأنه يعتمد على الله وحده ولأن كل قوى الكون لا تستطيع أن تفعل شيئاً بدون إرادة الله.

كل ما نراه من آثار وخواص، إنما جعلها الله سبحانه للموجودات للإستفادة من هذه الهبة الإلهية، ومنهم من يسيء الإستفادة منها، والإختيار الذي منحه الله للإنسان إنما هو وسيلة لاختباره وتكامله.

الآية: (104 و105)

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾﴾.

التفسير:

كان المسلمون يقولون يا رسول الله: ﴿رَٰعِنَا﴾ أي: استمع إلينا فحرَّفت اليهود معنى هذه الكلمة بمعنى يريدون منه النقيصة والوقيعة، فلما عوتبوا قالوا: نقول كما يقول المسلمون، فنهى الله عن ذلك، ﴿لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا﴾.

عندما يتشدد الإسلام إلى هذا الحد في مسألة بسيطة فكيف بتكليف المسلمين في المسائل الكبرى، وعليهم أن لا يتركوا أي ثغرة ينفذ منها المفسدون، من الداخل والخارج للإساءة إلى سمعة الإسلام والمسلمين. والآية التالية تكشف عن حقيقة ما يكنه أهل الكتاب والمشركين من حقد وعداء للمسلمين: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾.

كلمة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ وردت في القرآن الكريم أكثر من ثمانين مرّة، وكلُّها نزلت في المدينة، ولم تنزل في مكَّة، وتدلّ على بدء تطبيق الأحكام بعد هذه العبارة.

الآية: (106 و107)

﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾﴾.

التفسير:

كان اليهود يقومون بحملة تشكيك ضد المسلمين، ويقولون لهم إن نبيّكم يصلّي تجاه قبلتنا (بيت المقدس).

وعندما نزلت الآية القرآنية بتغيير جهة القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة،

قال اليهود للمسلمين لو كانت القبلة الأولى هي الصحيحة، فلماذا هذا التغيير؟ إن أعمالكم السابقة باطلة.

القرآن يقول للمؤمنين: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ فالله هو البصير بمصالح العباد، ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ وهو السند الحقيقي للمؤمنين، ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾.

úôõè¤ ¡

﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُـِٔلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾﴾.

التفسير:

هذه الآية تخاطب جماعة من المسلمين ضعاف الإيمان، وكان المشركين يسألوه أيضاً، كما كان يسأل اليهود بأن يأت لهم بمعجزات مثل: إئتنا بكتاب ينزل علينا من السماء نقرؤه، فجِّر لنا أنهاراً نتبعّك ونصدّقك فأنزل الله هذه الآية: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُـِٔلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾.

هذه الآية تُنهي عن الأسئلة السخيفة التي كان يُسأل بها النبي وهي تدل عن البعد عن الإيمان والاتجاه نحو الكفر، ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾. فالإسلام لا يمنع طرح الأسئلة إذا كان الهدف منها تثبيت الإيمان، حتى طلب المعجزات، ولكن إذا كانت هذه الأسئلة مجرد تشكيك بالأديان السماوية، كما كان يسأل قوم موسى من اليهود، فسينزل بهم كما نزل بقوم موسى.

الآية: (109 و110)

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۚ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾﴾.

التفسير:

كثير من أهل الكتاب وخاصةً اليهود لم يكتفوا بإعراضهم عن الدين الصحيح، بل كانوا يودّون أن يرتدَّ المسلمون عن دينهم بسبب الحسد الذي كان يستعر في قلوبهم. ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۚ﴾ وأمام هذه المواقف الدنيئة، يحدد الإسلام موقف المسلمين، وهو رحابة الصدر وسعة الأفق ﴿فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾، (أمرُ الله) في هذه الآية يعني الجهاد، والمسلمين لم يكونوا على استعداد لخوض معركة دامية مع الكفار.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي أن الله قادر أن ينصر المسلمين بطرق غيبية، ثم تأمر الآية الثانية بإقامة الصلاة وإتيان الزكاة والعمل الصالح وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله، إن ﴿ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

الآية: (111 و112)

﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾.

التفسير:

من الإدّعاءات الفارغة لبعض اليهود والنصارى: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ﴾ فيجيبهم القرآن بشكل رادع: ﴿تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡۗ﴾ ثم تخاطب الآية رسول الله ﷺ: ﴿قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ وبعد ذلك يطرح القرآن معيار أساسي لدخول الجنَّة وهو قانون عام:

﴿بَلَىٰ مَنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَلَهُۥٓ أَجۡرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ وهؤلاء يتبعون هذا القانون، ﴿وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ وهم مؤمنون ومحسنون، لا يخافون من أي شيء، بينما المشركون هم من يخاف بشكل دائم على مصالحهم وأوهامهم الخُرافية.

úôõè¤

﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ لَيۡسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيۡسَتِ ٱلۡيَهُودُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَهُمۡ يَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ مِثۡلَ قَوۡلِهِمۡۚ فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ١١٣﴾.

التفسير:

هذه الإدعاءات والتناقضات تدل على روح احتكارية ضيقة: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ لَيۡسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيۡسَتِ ٱلۡيَهُودُ عَلَىٰ شَيۡءٖ﴾. ثم تضيف الآية: ﴿وَهُمۡ يَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۗ﴾، أي أن هؤلاء لديهم الكتاب الذي يستطيع أن يجيب على المسائل مع ذلك يتحكم فيهم التعصب واللجاج والعناد.

ثم تقول الآية: ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ مِثۡلَ قَوۡلِهِمۡۚ﴾، أي أن الكثير من الناس من ينكرّ الحقائق وهو لا يعلمها، ولكن هذه الحقائق موجودة لمن يريدها ويسعى لها، فالله يعلم كل شيء: ﴿فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ﴾.

الآية: (114)

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾.

التفسير:

الآية نزلت في قريش حين منع المشركون رسول الله ﷺ من الدخول إلى مكَّة والمسجد الحرام، تقول الآية: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآ ۚ﴾ ثم تقول: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ﴾، أي على المسلمين أن يكونوا على درجة كبيرة من القوة والمقاومة بحيث هم من يمنع الظلمة أن يسيطروا على الأماكن المقدسة وتُبيّن الآية مدى العقاب الذي ينتظر هؤلاء الظلمة ﴿لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

الآية: (115)

﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾.

التفسير:

اليهود أنكروا تحويل القبلة إلى الكعبة عن بيت المقدس فنزلت هذه الآية للرد عليهم، حيث أن الآية تؤكد أن منع الناس من إحياء المساجد لا يقطع الطريق أمام عبودية الله، فشرق العالم وغربه لله سبحانه، فالله لا يحدُّه مكان ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾.

والإتجاه نحو القبلة في الصلاة، لا يعني أن الله موجود في مكان معيَّن، لكن

ضرورة التنسيق والوحدة تفرض أن يتجه المسلمون إلى جهة واحدة وإلا سادت الفوضى وقد اختار الله الكعبة ونسبها إلى نفسه فأصبحت مقدّسة وقال: (بيتي).

الآية: (116 و117)

﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾﴾.

التفسير:

معتقدٌ منحرف آمن به جمعٌ من المسيحيون واليهود وهو اعتقاد بأن الله اتخذ ابناً: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾ ثم تقول الآية: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾ يعني هو منزّه عن ذلك، فما حاجة الله إلى الولد ﴿بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ وهو نافذ الإرادة المطلقة ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾.

نسبة الولد إلى الله فكرة ساذجة، قائمة على اساس مقارنة بين الخالق والمخلوق البشري المحدود الذي يحتاج إلى أمور كثيرة، بينما الخالق هو القادر الأزلي الأبدي الذي لا يحتاج إلى شيء لأنه هو موجد الأشياء، وخالقها ومبدعها.. إذا أراد شيئاً يقول له كن فيكون.

الآية: (118 و119)

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾﴾.

التفسير:

هذه الآيات تشير إلى الكفار والمشركين وما كانوا يقولوا للنبي، فتقول الآية: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ﴾ أي لولا تكلّم الله مشافهةً فيخبرنا بأن محمد نبيّه ورسوله، أو تأتينا آية نحن نقترحها ونفرضها ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾، أي تشابهت بالعمى والضلال.

﴿قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾أي أن الدلائل كافية ووافقية على نبوّة محمد ﷺ لقوم منصفون ويريدون الحق، ثم تقول الآية التالية: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ اي انك أيها النبي قد أرسلناك بالحق والهدى وبشيراً للمؤمنين ونذيراً للكافرين، وما عليك إلا البلاغ ولا تُسأل يوم القيامة عن أهل النار.

الآية: (120 و121)

﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾﴾.

التفسير:

كان يهود المدينة ونصارى نجران يرجون أن يصلي النبي ﷺ إلى قبلتهم، فلما أمر الله بتغيير القبلة إلى الكعبة يئسوا من أن يوافقهم الرسول على دينهم فأنزل الله: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ أي قبلتهم.

وهذه الآية تخاطب الرسول وتقول: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ . . .﴾ أي أن لا تحاول عبثاً كسب رضا اليهود والنصارى واجبك أن تقول لهم: ﴿إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾، اي أن الهداية من الله، وليست من الخرافات التي تفرزها عقول

الجهال، ثم تقول الآية: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ ﴿وَمن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾، ومن أهل الكتاب من يتلو القرآن حق تلاوته، أي التفكير والتدبر: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ﴾ وهم قِلَّة من الذين آمنوا بالرسول وبالقرآن.

الآية: (122 و123)

﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾.

التفسير:

يتجه الخطاب الإلهي إلى بني إسرائيل ليذكّرهم بالنعم التي أحيطوا بها: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي على كل من يعيش في ذلك الزمان، ولأجل قلّة مؤمنة كانت من بني إسرائيل، وكانت الأكثرية من بقية الناس من الظالمين والكفار، ولكن إعطاء النِعَم تقترن بتحمُّل المسؤولية والإلتزام بتعاليم الله وتقواه، وإلا لن يُقبل منهم غرامة ولا فدية ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾.

الآية: (124)

﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾﴾.

التفسير:

هذه الآية وما بعدها تتحدث عن إبراهيم عليه السلام وبناء الكعبة وعددها ثماني عشرة آية؛ والهدف من هذه الآيات:

أولاً: مقدّمه لمسألة تغيير القبلة.

ثانياً: فضح إدعاءات اليهود والنصارى بشأن انتسابهم لإبراهيم، والرد على مشركي مكَّة.

تقول الآية: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ . . .﴾ بعد أن اجتاز إبراهيم كل الاختبارات بنجاح استحق أن يمنحه الله الوسام الكبير: ﴿قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ عند ذلك طلب إبراهيم من ربه: ﴿قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى﴾ أجابه الله عز وجل: ﴿قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ وقد استجيب لإبراهيم استمرار خط الإمامة في ذريته. والاختبارات التي نجح فيها إبراهيم هي.

١ ـ طاعة الله عندما أمره بذبح ولده.

٢ ـ إسكان زوجته وولده في وادٍ غير زرع بمكة طاعة لله أيضاً.

٣ ـ محاربة عبدة الأصنام وتحطيمها وإلقائه في النار، وقد جعلها الله برداً وسلاماً.

﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ االإمامة ميثاق إلهي، والتعيين من قِبَل الله، والأفراد الذين مارسوا الظلم ولو للحظة في حياتهم بحق أنفسهم أو بحق الآخرين لا يليقون للإمامة، فالإمام يجب أن يكون معصوماً طيلة عمرهِ، ولا يعلم ذلك إلا الله، وهو يعلم السرَّ والعلن ويختار من يليق بهذا المقام.

الآية: (125)

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾﴾.

التفسير:

مثابةً: عوده، أي عودة جسمية وروحية إلى التوحيد والفطرة.

والكعبة: هي البيت الآمن. الإسلام وضع أحكام مشدّدة من أجل إبعاد الأرض المقدسة على كل نزاع أو حرب أو إراقة دماء، فالناس والطيور والحيوانات آمنة في هذه البقعة، ولا يحق لأحد أن يمسَّها بسوء. ﴿طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ﴾ التطهير هو ظاهري ومعنوي، ووصف الله (بيت الله) هذه الإضافة تبيّن قدسية الكعبة، كما يقال: (شهر الله).

إن الله ليس بجسم ولا يحدّه بيت ولا يحتاج إلى ذلك.

الآية: (126)

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾﴾.

التفسير:

في هذه الآية طلب إبراهيم من ربّه طلبين هامَّين: اجعل هذا البلد آمناً، وارزق أهله من الثمرات.

طلَبَ الأمن أولاً ثم الرزق، وقد استجاب الله لإبراهيم ولكنه: ﴿قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾﴾.

الآية: (127 و128 و129)

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾.

التفسير:

بيت الكعبة كان موجوداً وقائماً منذ زمن آدم، ولكن إبراهيم وإسماعيل أقاما قواعد البيت من جديد وقد تضرَّع إبراهيم وإسماعيل إلى رب العالمين بطلبات وهي:

ـ رَّبنا اجعلنا مسلمين لك، ـ ومن ذريتنا أمةً مسلمةً، ـ وأرِنا مناسكنا، ـ وتُب علينا، ـ وابعث فيهم رسولاً... يتلو عليهم الكتاب، أي كتاب سماوي، والحكمة تعني العلوم والأسرار.

الآية: (130 و131 و132)

﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ ۚ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾.

التفسير:

﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ أليس من السفاهة أن يبتعد الإنسان عن مدرسة الطهر والنقاء والفطرة والعقل وسعادة الدنيا والآخرة، ويتجه إلى طريق الشرك والكفر والفساد وضياع العقل والإنحراف عن الفطرة وفقدان الدنيا والآخرة.

وعندما قال ربُّه أسلم ﴿قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ وهذا في الواقع هو أساس بقية صفات إبراهيم العظيمة، ووصيّة إبراهيم في أواخر حياته، وهي تجسيد آخر لهذه الحياة الشامخة ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ﴾ فكل من إبراهيم ويعقوب وصَّيا أبنائهما بالقول: ﴿يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم

مُّسْلِمُونَ﴾، والقرآن عندما ينقل وصيَّة إبراهيم ويعقوب تدل على أن الإنسان عليه أن يهتم بمستقبل أبنائه الأخروي، قبل أن يهتم بمستقبلهم المادي.

الآية: (133 و134)

﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾﴾.

التفسير:

كان جماعة من اليهود الذين أنكروا الإسلام ينسبُون ليعقوب بأنه أوصى أبنائه باليهودية يوم مات، والقرآن يرد عليهم: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ﴾ وفي الجواب: ﴿قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾.

وكثيرون من هؤلاء اليهود ظنّوا أنهم ناجون بوسيلة وشفاعة أولئك الأسلاف الذين يعتبرون أن لهم منزلة عند الله، يقول القرآن: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ...﴾.

الآية: (135 و136 و137)

﴿وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾﴾

التفسير:

إن التمحور والإنغماس في الذاتية يؤدي إلى أن يحتكر الإنسان الحق لنفسه، ويعتبر الآخرين على باطل ويسعى إلى أن يجُرهم إلى معتقداته.

في الآية الأولى: تتحدث عن مجموعة من أهل الكتاب وعن نظرتهم الضيّقة بالقول: ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْۗ﴾، فيردّ عليهم القرآن مؤكداً أن الأديان المنحرفة لا يمكن أن تهدي الإنسان، ﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

والآية التالية تأمر المسلمين أن: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾.

فلا يجوز أن نحكم على هذا النبيّ أو ذاك من عند أنفسنا، بل يجب أن ننظر إلى الأنبياء بمنظار رسالي ونعتبرهم رسُل رب العالمين ومعلمي البشرية، فقد أدى كل واحد منهم دوره في مرحلة تاريخية معيَّنة وكان هدفهم واحد وهو هداية الناس إلى التوحيد الخالص إلى الحق والعدل.

ثم يضيف القرآن: ﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍۖ﴾، فلو تخلى هؤلاء عن عنصريتهم وذاتيتهم لآمنوا بجميع الأنبياء ولاهتدوا، وإلّا فقد ضلّوا السبيل.

ثم في الآية الأخيرة تثبّتِ قلوب المؤمنين وتبعثُ فيهم الثقة والطمأنينة بالقول: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

الآية: (138 و139 و140 و141)

﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةًۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ

ٱللَّهُۗ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ١٤٠ تِلۡكَ أُمَّةٞ قَدۡ خَلَتۡۖ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَلَكُم مَّا كَسَبۡتُمۡۖ وَلَا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾.

التفسير:

هذه الآية تأمر اتباع طريق جميع الأنبياء وترك كل صبغة (أي دين) غير صبغة الله أي (دين الله) ثم تضيف ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗۖ﴾ وفي اتباع ملَّة إبراهيم التي هي صبغة الله ﴿وَنَحۡنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾. القرآن يرفض كل الصبغات الظاهرية (كغسل المولود في ماء أصفر الذي يسمونه غسل التعميد) ويقول من الأفضل أن تصطبغوا بصبغة الله لتُطهَر أرواحكَم.

وكان اليهود وغيرهم يحاجون المسلمين ويقولون أن دينهم أقدم الأديان وكتابهم أعرق الكتب السماوية، يقول القرآن: ﴿أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡ﴾. واعلموا أن لا امتياز لأحد على غيره إلا بالأعمال الصالحة ﴿وَلَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ﴾ والفارق أننا ﴿وَنَحۡنُ لَهُۥ مُخۡلِصُونَ﴾. والآية التالية تجيب على ادعاءات اليهود الفارغة: ﴿أَمۡ تَقُولُونَ إِنَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ قُلۡ ءَأَنتُمۡ أَعۡلَمُ أَمِ ٱللَّهُۗ﴾ وإن إطلاق هذه الأقوال بدون علم، هي ذنب عند الله، وكتمان للحقيقة ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾.

الآية: (142)

﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٤٢﴾.

التفسير:

هذه الآية وآيات تالية تتحدث عن حادث من حوادث التاريخ الإسلامي، له آثاره الكبيرة في المجتمع آنذاك، وهي أن رسول الإسلام ﷺ صلَّى صوب بيت

المقدس بأمر ربِّه مدة ثلاثة عشر عاماً بعد البعثة في مكة وبضعة أشهر في المدينة بعد الهجرة، ثم تغيَّرت القبلة وأمر المسلمين أن يصلوّا نحو الكعبة.

فواصل اليهود حربهم الإعلامية، وبدأوا يلقون الشكوك بشأن هذا التغيير، والقرآن يتحدث هنا عن هذه الأقاويل: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ﴾، ويجيب الله سبحانه على لسان رسوله: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ فليس للمكان قدسية ذاتية، إنما يكتسب قداسته بإذن الله، وكل مكان هو ملكٌ لله، المهم هو الطاعة والتسليم لرب العالمين، والتغيير هو مرحلة من مراحل الإختبار الإلهي، وكل مرحلة هي خطوة على الصراط المستقيم وعلى الهداية الإلهية.

الآية: (143)

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٤٣﴾.

التفسير:

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا﴾ أي كما جعلنا القبلة بين المشرق والمغرب في خط وسط، جعلناكم أمة معتدلة: ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ﴾.

وهذه الآية تشير إلى شهادة الرسول على المسلمين، وشهادة الأمة المسلمة على الناس، أي القدوة والأسوة والشاهد ينتخب من بين أزكى الناس وأمثلهم، فهذه الأمة المسلمة نموذجية بما عندها من عقيدة ومنهج كما أن النبي هو النموذج بين أبناء الأمة.

ثم تشير الآية إلى سرّ آخر من أسرار تغيير القبلة: ﴿وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ﴾ ثم تضيف الآية: ﴿وَإِن كَانَتۡ

لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى﴾ وأما وسوسة الأعداء الذين شكّكوا في صحة ما سبق من العبادات، فقد أراد الله أن لا يضيع المسلمين في الإختبار، وأن يتخلصوا من آثار الشك لتنمو فيهم روح التسليم المطلق أمام أوامر الله وأن الله لن يضيّع إيمان هؤلاء المؤمنين: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

ومن أسرار تغيير القبلة: أن الكعبة كانت في بداية البعثة المباركة بيتاً لأصنام المشركين، فقد أُمر المسلمون مؤقتاً تجاه بيت المقدس، ليتحقق الإنفصال الكامل بين الجبهتين، ولمّا لم يعد هناك ضرورة لاستمرار وضع القبلة، حينئذ عاد المسلمون إلى الكعبة أقدم قاعدة توحيدية، وأعرق مركز للأنبياء.

الآية: (144)

﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۖ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾﴾.

التفسير:

تشير الآية إلى الأمر الإلهي بتغيير القبلة وتقول: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۖ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ﴾.

إن تغيير القبلة من علامات النبي الخاتم وهي مذكورة في الكتب السماوية السابقة، فقد كان أهل الكتاب على علم بأن النبي المبعوث يصلّي إلى القبلتين لذلك تضيف الآية: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ﴾.

ثم تقول الآية: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ فهؤلاء الذين يكتمون ما جاء في كتبهم بشأن تغيير القبلة، ويستغلون هذه الحادثة ليثيروا الشكوك سيلاقون جزاء أعمالهم، والله ليس بغافلٍ عن نواياهم وأعمالهم.

الآية: (145)

﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾﴾.

التفسير:

إن تعصُّب هؤلاء الذين يثيرون الشكوك من أهل الكتاب هو الذي منعهم من قبول الحق لذلك تقول الآية: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ﴾.

ثم تضيف الآية: ﴿وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ﴾ فلا النصارى بتابعين قبلة اليهود ولا اليهود بتابعين قبلة النصارى. ولمزيد من الحسم والتأكيد ينذر القرآن النبي ويقول: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

الآية: (146 و147)

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾.

التفسير:

إن أهل الكتاب يعرفون النبيّ ﷺ واسمهُ وعلاماته من خلال كتبهم الدينية، ولكن تعصُّب مجموعة منهم جعلتهم يخفون الحقيقة: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.

ولكن هناك فريق سارع لاعتناق الإسلام بعد أن رأى الصفات والعلامات في

النبيّ الأكرم مثل عبدالله بن سلام وهو من علماء اليهود ونُقل عنه بعد إسلامه قوله: (أنا أعلم به من ابني).

وفي الآية التالية تُثبِّت قلب النبي وتقول: ﴿ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ﴾ أي المترددين.

المخاطب في الآية هو النبي ﷺ ولكن الهدف هو تربية البشريَّة على الثبات على الحق، فالنبي المتصل بالوحي لا يعتريه تردُّد.

الآية: (148)

﴿وَلِكُلّٖ وِجۡهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَاۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ أَيۡنَ مَا تَكُونُواْ يَأۡتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٤٨﴾.

كان للأنبياء على مر التاريخ وجهات عديدة يولّونها، وليست القبلة كأصول الدين لا تقبل التغيير، ﴿فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ﴾ لأن معيار القيمة الوجودية للإنسان هي أعمال البرِّ والخير.

ثم تتغير لهجة الآية إلى نوع من التحذير والتهديد لأولئك المفترين فتقول: ﴿أَيۡنَ مَا تَكُونُواْ يَأۡتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًاۚ﴾ إلى تلك المحكمة الكبرى حيث يتلقّى كل إنسان جزاء عمله، وقد يتساءل البعض كيف تعود الحياة للناس في هذا اليوم العجيب وتجيب الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾.

الآية: (149 و150)

﴿وَمِنۡ حَيۡثُ خَرَجۡتَ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۖ وَإِنَّهُۥ لَلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ١٤٩ وَمِنۡ حَيۡثُ خَرَجۡتَ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۖ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيۡكُمۡ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِي وَلِأُتِمَّ نِعۡمَتِي عَلَيۡكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٥٠﴾.

التفسير:

الآية الأولى تأمر النبي ﷺ وتقول: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ﴾ من أي مدينة أو ديار ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ ولمزيد من التأكيد: ﴿وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾.

وتنتهي الآية بتهديد المتآمرين: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ والآية تخاطب النبيّ ﷺ ولكنها تقصد المسلمين جميعاً وتقول: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾، ثم تقول: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾.

والخوف من الله هو من الأصول التوحيدية الإسلامية، وعدم الخوف من أي شيء سوى الله، وآخر هدف لتغيير القبلة هو إتمام النعمة: ﴿وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.

الآية: (151 و152)

﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾.

التفسير:

﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ﴾، كلمة منكم تعني أن الرسول بشر مثلكم والإنسان وحده القادر على ان يكون قدوةً للبشر وأن يتحسس آمالهم وآلامهم، بعد هذه النعمة يشير القرآن إلى اربع نِعَم عادت على المسلمين ببركة النبيّ ﷺ.

١ ـ يتلو عليكم آياتنا.

٢ ـ يزكيكم: والتزكية هي الزيادة والإنماء، أي أن النبي بفضل آيات الله يزيدكم كمالاً ماديّاً ومعنوياً.

٣ ـ ويزيل ألوان الرذائل التي كانت في الجاهلية ويعلّمكم الكتاب والحكمة، وهو إشارة إلى آيات القرآن والوحي الإلهي، والحكمة لها معنى واسع يشمل الكتاب والسنَّة النبوية.

٤ ـ ﴿وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾ أي يعلمكم المعارف والعلوم الإنسانية، هذه النعم تستدعي الشكر والذكر للمنعم: ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾.

الآية: (153 و154)

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتُۢۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾﴾.

التفسير:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ﴾ يعني يا أيها المؤمنون واجهوا المشاكل والصعاب بهاتين القوتين فالنصر حليفكم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ وخلافاً لما يتصور بعض الناس أن الصبر هو قبول المذلة والاستسلام بل هو المقاومة والثبات أمام جميع المشاكل والحوادث و ﴿ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ﴾ هذه الآية تطرح مبدأين هامين:

الأوّل: الاعتماد على الله بالصلاة.

الثاني: الإعتماد على النفس بالصبر والثبات.

﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتُۢۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾، في كل أمّة هناك مجموعة من الناس تحب العافية وتكتفي بالتقاعس والتكاسل، ولا تكتفي بذلك بل تثبّط عزائم الآخرين والقرآن يتحدث عن هذه الفئة ويؤنبهم بشدة.

وتقول الآية بوضوح أن الروح باقية في الحياة البرزخية وهي الفترة ما بعد الموت وما قبل البعث.

الآية: (155 و156 و157)

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾.

التفسير:

الاختبار الإلهي العام سُنَّة كونية لا تقبل التغيير ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾، ولأن الإختبار لا يتحقق إلا بالصبر والثبات والمقاومة، تقول الآية: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ فالصابرون هم الذين يستطيعون أن يخرجوا منتصرين في هذه الإمتحانات، والآية التالية تُعرِّف الصابرين وتقول: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾، إن الإقرار التام بالعبودية المطلقة يعلّمنا أن لا نحزن على ما فاتنا، لأن الله سبحانه مالكنا وجميع ما لدينا من مواهب وعطايا إذا شاء منحنا إياها، وإن استوجبت المصلحة أخذها منا وفي المنحة والمحنة مصلحة لنا.

والالتفات والتذكر دائماً إلى حقيقة عودتنا إلى الله سبحانه يشعرنا بزوال هذه الحياة، وأن هذه الإبتلاءات وسيلة لارتقاء الإنسان على سلم تكامله، والشعور دائماً بأننا راجعون إلى الله له الأثر الكبير في تعميق روح المقاومة والإستقامة والصبر.

وآخر آية تتحدث عن الألطاف الإلهية الكبرى التي تشمل الصابرين الصامدين المتخرجين بنجاح في هذه الإمتحانات الإلهية: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ هذه الصلوات والرحمة تجعل هؤلاء على بصيرة من أمرهم في مسيرتهم الحياتية المحفوفة بالمزالق والأخطار، لذلك تقول الآية: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾.

وفي الآية ١٥٤ من سورة آل عمران: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾، يقول أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: في بيان سبب

الإختبارات الإلهية وإن كان الله سبحانه أعلم بهم من أنفسهم، ولكن لتظهر الأفعال التي بها يستحق الثواب أو العقاب.

إن الصفات الكامنة لا يمكن أن تكون وحدها معيار للثواب والعقاب، فلا بد أن تظهر من خلال أعمال الإنسان، وتنتقل من القوة إلى الفعل.

والإمتحانات تشمل الجميع، وهذه الإمتحانات لا تكون بالصعوبة والقسوة فقط بل قد يمتحن الله عباده بالخير ووفور النعم. ونكبات الحياة ومشاكلها مهما كانت شديدة وقاسية فهي مؤقتة وعابرة وهذا ما تقول الآية: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾.

الآية: (158)

﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾﴾.

التفسير:

الصفا والمروة، إسمان لجبلين صغيرين، يقعان في الضلع الشرقي للمسجد الحرام، في الجهة التي يقع فيها الحجر الأسود ومقام إبراهيم.

الشعائر: جمع شعيرة، أي العلامة، وشعائر الله أي العلامات التي تذكِّر الإنسان بالله، وتُعيد إلى الأذهان ذكريات مقدَّسة.

اعتمر: أي أدّى العمرة، والعمرة هي الأعمال الخاصة التي يؤديها المسلم إلى جانب أعمال الحج، أو يؤديها لوحدها في العمرة المفردة، وبينها وبين أعمال الحج أوجه مشتركة وافتراق.

من أسرار السعي بين الصفا والمروة: عندما ذهب النبي إبراهيم بأمر من ربّه إلى صحراء مكّة وترك زوجته هاجر وابنه الرضيع وأسكنهما تلك الأرض وحيدين، بكت هاجر ومعها الطفل، فتأثر إبراهيم تاثراً شديداً وصار يناجي ربّه من الأعماق: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا

لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾ ثم ودَّع زوجته وابنه بحزن وألم عميق.

لم يمضِ وقت طويل حتى نفذ الطعام والماء، وجفّ لبن الأم، فاتجهت إلى جبل الصفا فلم تجد أثراً للماء، ولفت نظرها بريق ماء عند جبل المروة فأسرعت إليه فوجدته سراباً، وكان الطفل قد أشرف على الموت، وانفجرت عند رجله فجأة عين زمزم فشرب الطفل وأمه ونجيا من الموت المحقق.

في الصفا والمروة، دروس في التضحية بكل غالٍ ونفيس حتى بالطفل الرضيع، من أجل المبدأ والعقيدة وطاعة الله ورضاه، والسعي بينهما يعلمنا أن يكون لنا أمل دائم بالنجاح والانتصار.

ومن أجل إحياء كل تلك الأحاسيس والمشاعر بالنفس وتذكر أفراد ضحّوا بحياتهم من أجل الدين، أمر الله الحجيج أن يسعوا سبع مرات بين الصفا والمروة وأضِف إلى ذلك أن السعي يقضي على كِبَر بعض الناس وغرورهم فيقطعون المسافة ذهاباً وإياباً وبنفس لباس الناس وبهرولةٍ أحياناً. وقد ورد في الروايات، أن السعي إيقاظ للمتكبرين.

الآية: (159 و160)

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ١٥٩ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٦٠﴾.

التفسير:

الآية الكريمة تتحدث عن علماء اليهود ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ ولكن تُبيّن حُكما عاماً بشأن كاتمي الحق، إن كتمان الحقائق لا ينحصر دون شك في

كتمان علامات النبوَّة والبشائر بالنبيّ الخاتم ﷺ بل يشمل كتمان كل حقيقة تستطيع أن تدفع الناس إلى الفهم الصحيح وإلى الحق.

ولكن القرآن وهو كتاب هداية فإنه لا يغلق باب الأمل والتوبةِ أمام الأفراد لذلك تقول الآية التالية: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾، إن الله لم يقل أقبل التوبة فقط، ولكن قال أيضاً ﴿أَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ ومعنى ذلك أن الله سبق عطفه ومحبته على عباده التائبين.

الآية: (161 او162 و163)

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾.

التفسير:

تحدثت الآيات السابقة عن كتمان الحق وهذه الآيات تكمل الموضوع السابق وتتناول جزاء الذين يواصلون طريق الكفر وكتمان الحقائق والعناد إلى آخر عمرهم ولم يتوبوا وتقول الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾.

هؤلاء مستحقين اللّعنة الدائمة ولعنه الله والملائكة وجميع الناس ثم تقول عن هؤلاء الكفار المُصرِّين على كفرهم حتى اللحظات الأخيرة من حياتهم ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾. وبما أن التوحيد ينهي كل هذه المصائب فالآية الثالثة تذكر هذا الأصل وتقول: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾، والله هو الذي يليق بالعبودية والطاعة.

الآية: (164)

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾.

التفسير:

هذه الآية الكريمة تشير النظام الموجود في عالم الكون، وكل آية منها تدل على وحدانية الله.

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ يقول العلم لنا اليوم: أن في السماء آلافاً مؤلفة من المجرات، ومنظومتنا الشمسية واحدة من هذه المجرات، وفي هذه المجرة وحدها مئات الملايين من الشموس والنجوم الساطعة، وهذه الكواكب مسكونة بمليارات الموجودات الحيَّة، مما يدل على عظمة الخالق وقدرته التي لا حدود لها.

﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ ومن الدلائل الأخرى على عظمة الله عز وجل: تعاقب الليل والنهار، وما يتبع ذلك من الفصول الأربعة، والفُلك التي تجري في البحر وتصريف الرياح، والسحاب المسخّر بين السماء والأرض كل تلك المظاهر والآيات هي ﴿لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

الآية: (165 و166 و167)

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾

التفسير:

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ . . .﴾ هذه الآيات تتحدث عن أولئك الناس الذين أعرضوا عن كل الدلائل الواضحة، وساروا على طريق الشرك والوثنية وتعدد الآلهة إن كانت من الأصنام أو من البشر.

هؤلاء الناس يحنون رؤوسهم تعظيماً أمام الآلهة المزيفة مشغوفون بها حباً، مع أن هذا الحب لا يليق إلا بالله سبحانه وتعالى. مصدر كل الكمالات وواهب جميع النِعَم ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ لأنهم أصحاب عقل وإدراك ﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ﴾ في تلك اللحظات تزول حجُب الجهل والغرور والغفلة، حين يرون العذاب وأن الله شديد العقاب.

عند ذلك يتجهون إلى قادتهم ومعبوديهم: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾، واضح هنا أن المعبود ليسوا الأصنام الحجرية والخشبية بل الطغاة الجبابرة الذين استعبدوا الناس، هؤلاء الغافلون المغفلون حيث يرون ما حلَّ بهم: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا﴾، لكنها أمنية لن تتحقق.

ثم تقول الآية: ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾، لكنها حسرة غير مفيدة، فاليوم يوم الجزاء وليس يوم تلافي الأخطاء.

الآية: (168 و169)

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾﴾.

التفسير:

إن من أحد أنواع الشرك، هو تقرير الحلال والحرام إلى غير الله، وقد اعتبرت هذه الآية أن هذا العمل هو من عمل الشيطان، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ﴾ وقد تكرَّر في القرآن، أن الله يأمر الناس بالاستفادة من الأطعمة، ولكنه مقيَّد بالحلال وهو الطيب الذي يوافق الطبع السليم، ويقا بله الخبيث الذي يشمئز منه الإنسان.

وخطوات الشيطان هي المراحل التي يقطعها الشيطان ليبعد الناس عن طريق الحق والخير ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ﴾، تكررت خمس مرات في القرآن الكريم و﴿إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ﴾تكررت عشر مرات، وهدف الشيطان هو شقاء الإنسان، ومنهجه أن يأمر الإنسان بعمل السوء والفحشاء والتقوّل على الله: ﴿إِنَّمَا يَأۡمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلۡفَحۡشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾.

والفحشاء: هو كل عمل خارج عن الإعتدال ويشمل المنكرات والقبائح.

والإنحرافات التدريجية هي عبارة عن ﴿خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ﴾ فهي تُدخل الإنسان بشكل تدريجي، ويحذِّر القرآن من اتخاذ الخطوة الأولى التي تكون على طريق الإنزلاق إلى الهاوية.

الآية: (170 و171)

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ١٧٠ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنۡعِقُ بِمَا لَا يَسۡمَعُ إِلَّا دُعَآءٗ وَنِدَآءٗۚ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ١٧١﴾.

التفسير:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ﴾، تشير هذه الآية إلى منطق المشركين في

تحريم ما أحلّ الله، وعبادة الأوثان، ولكن الله يدين هذا المنطلق الخرافي القائم على التقليد الأعمى لعادات وآباء الأجداد، فيقول: ﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾، إن اتباع الآباء صحيح إذا كان على طريق العقل والهداية.

أما أسلاف هؤلاء فلم يكونوا يعلمون، ولم يكونوا قد اهتدوا بمن يعلم، وهذا يسبب تخلُّف البشرية لأنه تقليد الجاهل للجاهل، والآية الثانية تبيّن سبب تعصُّب هؤلاء وإعراضهم عن الإنصياع للحق: ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً﴾ هذا التقليد الأعمى هو كمن يصيح بقطيع الغنم لإنقاذهم من الخطر ولكن الأغنام لا تدرك منه سوى أصوات غير مفهومه، ثم تضيف الآية بأن هؤلاء: ﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾.

الآية: (172 و173)

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾﴾.

التفسير:

هذه الآية تخاطب المؤمنين، بينما الآيات السابقة خاطبت جميع الناس: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾، هذه الطيبات المناسبة مع الفطرة الإنسانية السليمة قد خُلقت لكم فلما لا تستفيدون منها.

والآية التالية تحرِّم بعض ألوان الأطعمة وتقول: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾. والرخصة هي لمن لا يريد اللذة في تناول الأطعمة المحرَّمة ولكن هذه الأطعمة تجوز له في حالة الضرورة لنجاته من الموت.

الآية: (174 و175 و176)

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٧٤ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡعَذَابَ بِٱلۡمَغۡفِرَةِۚ فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ ١٧٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ١٧٦﴾

التفسير:

هذه الآية تتوجه إلى جماعة قليلة من اليهود وهم من علمائهم، كانوا يستفيدون من بعض الناس بالهدايا ويرجون أن يكون النبي فيهم فلما بُعِثَ من غيرهم خافوا زوال هذه العطايا فغيّروا صفاته الموجودة في التوراة.

فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ﴾ أي إن هذه الهدايا والعطايا من هذه الطريق هي نيران محرقة تدخل بطونهم، وسينال هؤلاء عقاباً معنوياً أشدُ من العقاب المادي فتقول الآية: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ إن واحدة من أعظم الهبات الإلهية هي في الآخرة عندما يكلم الله المؤمنين، لأنهم سينالون منزلة الأنبياء، كما كلَّم الله موسى عليه السلام وكلام الله لعباده بأن يخلق صوتاً قابل للسمع والإدراك، أو أنه يتكلم بلسان القلب عن طريق الإلهام.

وأخيراً يقول عز وجل: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡعَذَابَ بِٱلۡمَغۡفِرَةِۚ﴾، ويقول سبحانه بلغة التعجب ﴿فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ ثم يقول عز وجل: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّۗ﴾ أي أن الله أنزل القرآن بدلائل واضحة حتى لا يبقى شبهة لأحد، مع ذلك فإن زمرة محرِّفه تعمد إلى كتمان الحقائق وتثير الاختلاف في الكتب السماوية لمصالح خاصة دنيوية: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ﴾.

الآية: (177)

﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾.

التفسير:

﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ يبيّن القرآن أهم أصول البرِّ والإحسان وهي ستَّة فيقول: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾، ثم تذكر الآية الإنفاق بعد الإيمان وتقول: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ﴾.

إن إنفاق المال ليس بالعمل اليسير على الجميع، لأن حب المال موجود بدرجات متفاوتة في كل القلوب، و﴿عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ إشارة إلى هذه الحقيقة، هؤلاء يندفعون للإنفاق رغم هذا الحب للمال من أجل رضا الله سبحانه.

والأصل الثالث من أصول البرّ إقامة الصلاة: ﴿وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ والصلاة إن أداها الفرد بشروطها وحدودها بإخلاص وخضوع تصدُّه عن كل ذنب وتدفعهُ نحو كل سعادة وخير.

والأصل الرابع: أداء الزكاة والحقوق المالية الواجبة: ﴿وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ﴾.

فالآية سبق أن ذكرت الإنفاق المستحب، وهنا تذكر الإنفاق الواجب، بعض الناس يكثر من المستحبات في الإنفاق ولا ينفق درهماً في إيثار، والمحسنون الحقيقيون هم الذين ينفقون في المجالين معاً.

الخامس من الأصول: الوفاء بالعهد: ﴿وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟﴾ فالثقة المتبادلة رأس مال الحياة الاجتماعية وترك الوفاء بالعهد من الذنوب التي تزلزل الثقة وتوهن عُرى العلاقات الاجتماعية.

عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «ثلاث لم يجعل الله عز وجل لأحد فيهن رخصة: أداء الأمانة إلى البرِّ والفاجر، والوفاء بالعهد للبرّ والفاجر، وبرُّ الوالدين برّين كانا أو فاجرين».

الأساس السادس والأخير: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ﴾ والضراء: (المرض) وحين البأس: أثناء القتال مع الأعداء.

ثم تؤكد الآية على أهمية الأسس الستَّة وعلى عظمة من يتحلَّى بها، فتقول: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ﴾، وصدقهم يتجلى في انطباق أعمالهم وسلوكهم مع إيمانهم ومعتقداتهم وتتجلى تقواهم في التزامهم تجاه الله وتجاه المحتاجين والمحرومين وكل المجتمع الإنساني والملفت للنظر أن الصفات الست المذكورة تشمل الأصول الاعتقادية والأخلاقية والمناهج العملية.

الآية: (178 و179)

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٧٨ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٧٩﴾.

التفسير:

الآيات السابقة طرَحَت المنهج الإسلامي في (البرّ) وهنا يقدم القرآن الكريم في الآيات التالية مجموعة من الأحكام الإسلامية، تبدأ هذه الأحكام من مسألة مهمة وهي حفظ حُرمة الدماء، فتنفي العادات والتقاليد الجاهلية وتقول للمؤمنين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾.

القصاص: مِن قصَّ، يقال قصَّ أثره، أي تبعه وتلاه.

الآية تهدف بيان الموقف الصحيح من المجرم، ولفظ القصاص يدل على إنزال عقوبة بالمجرم مماثلة لما ارتكبه هو، ولكن الآية لا تكتفي بذلك بل بيَّنت تفاصيل: ﴿ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ﴾ وتبين الآية أن القصاص حق الأولياء المقتول، وليس حكماً فإن شاؤا ترك الديَّة فلهم ذلك: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ﴾، عندما يبدِّل القصاص عند أولياء المقتول إلى ديَّة، فعلى المعفو عنه أن يبادر إلى دفع الديَّة عند الإمكان وأن لا يماطل ﴿ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

هذا الأمر بالقصاص وبالعفو هو أمر إنساني ومنطقي، فهو من جهة يلغي عادة قتل الإنتقام للمقتول الواحد بقتل أكثر من شخص، وربما قتل العشرات. ومن جهة ثانية يفتح باب العفو أمام المذنب مع الحفاظ على احترام الدم وردع القاتلين.

وثالثاً: لا يحق للطرفين بعد العفو وأخذ الديّة التعدي خلافاً لأهل الجاهلية الذين كانوا يقتلون القاتل أحياناً حتى بعد العفو والديَّة.

﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ هذه الآية تبين أن القصاص ليس انتقاماً بل هو السبيل إلى ضمان حياة الناس من ازدياد القتل والإنتقام.

الآية: (180 و181 و182)

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعْدَمَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾ فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾﴾.

التفسير:

هذه الآيات تذكر بتشريع الوصيَّة باعتباره جزءاً من النظام المالي وتذكر بأسلوب الحكم الإلزامي فتقول: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾، ثم تضيف الآية أن هذه الوصيّة ﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾ وبما أن الآية قالت: حقاً على المتقين فهي مستحبة إستحباباً مؤكداً، وعبَّرت الآية بكلمة خير عن المال فقالت: و ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾.

هذا التعبير يشير ضمنياً إلى مشروعية تحصيل المال والثروة واستخدامه لمصلحة المجتمع واعتباره خيراً وبركة، أما المال غير المشروع فهو شرّ ووبال.

وتقييد الوصيّة (بالمعروف) يعني أن لا يكون فيها تمييز أو إنحراف عن أصول الحق والعدالة حتى لا تؤدي إلى نزاع وعندما تكون الوصيّة عادلة فهي محترمة ومقدسة وكل تبديل فيها حرام ﴿فَمَنْ بَدَّلَهُۥ بَعْدَمَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ﴾، ولكن هناك استثناء: ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

الجنَفَ: الإنحراف.

وقد عبَّرت الآية بالجنف عن الإنحراف، فإذا كان الأمر سهواً فإن الله ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ وإن كان عمداً فهو إثم، وقد أجاز الإسلام أن يتصرف المسلم بثلث أمواله بعد الوفاة، ولا يحق له أكثر من ذلك وحرمان الورثة من حقهم المشروع وهو الثلثين.

الآية: (183 و184 و185)

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ وَأَن تَصُومُواْ

خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾﴾.

التفسير:

تناولت هذه الآيات واحدة من أهم الأحكام الإسلامية والعبادات، وهي عبادة الصوم وقالت بشكل مؤكّد: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ ثم قالت بعبارة قليلة الألفاظ عن الهدف من الصوم وهو: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ والآية التالية تتجه إلى التخفيف من تعب الصوم وتقول: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ﴾ ثم تقول: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ ثم تصدر عفواً عن الطاعنين في السنّ وعن المرض الذي لا يُرجى شفاؤهم وعليهم أن يدفعوا بدلها كفّارة فتقول: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾.

﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ بإطعام أكثر من ذلك فهو خير له.

﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ﴾ أي يلزم على كل إنسان سليم أن يصوم شهراً، فذلك ضروري لتربية جسمه ونفسه، فالمريض والمسافر عليه أن يقضي ما فاته من شهر رمضان ليكمل العدّة، والحائض التي أعفيت من الصوم والصلاة، غير معفوَّة من قضاء الصوم، ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾. فالصوم هو تربية للإنسان لروحه وجسمه، وللسيطره على أهوائه وشهواته، وهو درس للمساواة بين أفراد المجتمع، فيذوق الغنيّ مسّ الجوع والألم فيرحم الجائع والفقير.

وللصوم آثار صحية، لأن الإسراف في تناول الأطعمة تتراكم في الجسم فالصوم يحرق ما زاد منها، وهو تطهير للبدن والروح. فالله يريد اليسر ولا يريد بكم العسر وفي شهر رمضان نزلت كل الكتب السماوية، وفيه نزل القرآن الكريم

﴿ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾، فهو شهر تربية وتعليم، ونجد في نصوص الكتب الدينية (حتى بعد تحريفها) شواهد على أن الصيام في كل الأديان، وفي القرآن الكريم يقول: ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾.

الآية: (186)

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾.

التفسير:

هذه الآية تخاطب النبيّ وتقول: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ إني أقرب منكم إليكم بل: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾، ثم تقول الآية: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ إذن: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ ويلفت النظر في الآية: أن الله سبحانه أشار إلى ذاته المقدسة سبع مرات وأشار إلى عباده سبعاً، مجسّداً غاية لطفه وقربه وارتباطه بعباده.

وكما أن كل العبادات ذات أثر تربوي كذلك الدعاء له اثر، وبالدعاء يزداد الإنسان ارتباطاً بالله تعالى عن الإمام الصادق عليه السلام: «إن عند الله عز وجل منزلةً لا تُنال إلّا بمسألة».

الآية: (187)

﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾﴾.

التفسير:

هذه الآية الكريمة تتضمَّن أحكام إسلامية في الصوم والإعتكاف، تقول: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾، ثم تقول: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾، واللباس يحفظ الجسم من الحر والبرد وأنواع الأخطار، ويستر عيوب الجسم من جهة أخرى، وهو زينة للإنسان وتشبيه الزوج باللباس يشمل كل هذه الجوانب.

سبب نزول هذه الآية أن النكاح كان محرَّماً في ليالي شهر رمضان ونهاره، وأن الأكل والشرب كانا محرّمين في الليل أيضاً بعد النوم، ولعلّ ذلك كان اختباراً للجيل الإسلامي الأول وإعداداً له كي يتقبل أحكام الصوم الثابتة.

ثم يبين القرآن سبب تغيير هذا القانون الإلهي ويقول: ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ﴾ فالله تعالى وسَّع عليكم الأمر وخفّفه وجعل فيه رخصةً بلطفه ورحمته كي لا تتلونوا بالذنوب ﴿فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾، ثم تبين الآية الحكم الثاني وتقول: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾.

والحكم الثالث: ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ﴾ وهذه الجملة تؤكد على حظر الأكل والشرب والنكاح في ايام شهر رمضان للصائمين، وتشير إلى أن الحظر يبدأ من طلوع الفجر وينتهي عند الليل.

والحكم الرابع: ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ﴾ وهذا الحكم يرتبط بالاعتكاف الذي يستحب عادة في شهر رمضان فلا يحق للمعتكِف أن يباشر زوجته لا في الليل ولا في النهار خلال المدة التي يكون معتكفاً فيها.

وفي ختام الآية عبارة تشير إلى كل ما ورد فيها من أحكام تقول: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾، لأن الإقتراب من الحدود قد يدفع الإنسان إلى تجاوزها والوقوع في الذنب ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ فالتقوى هي الهدف النهائي للصوم، وكل مناهج الإسلام هي وسيلة لتربية الروح والتقوى والفضيلة والإرادة والإحساس بالمسؤولية.

الآية: (188)

﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾﴾.

التفسير:

في هذه الآية نهيٌ عن أكل أموال الناس بالباطل، فالصوم والإبتعاد عن الذنوب هما فرعان للتقوى.

ووباء الرشوة، من الأوبئة الاجتماعية التي ابتلي بها البشر، وهذه الظاهرة كانت دائماً تمنع إقامة العدالة الاجتماعية وتسبّب جرّ القوانين الوضعية لصالح الطبقات المقتدرة، بينما سُنَّت القوانين والأحكام الإلهية لصالح الفئات الضعيفة من سيطرة الفئات القوية.

وقد اعتبر الإسلام مسألة الرشوة من الكبائر، وكان البعض يغطوا رشوتهم بقناع من الأسماء الأخرى كالهديَّة ونظائرها، ولكن هذه التغطية لا تغير من طبيعة هذا العمل. ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ﴾، فإن مفهوم هذه الآية عام يستوعب كل تصرف في أموال الآخرين من غير الطريق المشروع.

ثم يشير في ذيل الآية إلى نموذج بارز لأكل المال بالباطل والذي يتصوَّر بعض الناس أنه حق وصحيح لأنهم أخذوه بحكم الحاكم فيقول: ﴿وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ﴾ وفي آية أخرى ﴿وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾.

الآية: (189)

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾﴾.

التفسير:

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ﴾: الأهلّة: جمع هلال ويعني القمر في الليلة الأولى والثانية من الشهر ثم تقول الآية: ﴿قُلْ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾ فما يحصل عليها من تغييرات منتظمة تدريجية، يجعل فيها تقويماً طبيعياً يساعد الناس على تنظيم أمورهم على التوقيت وتحديد الزمن، وتنظِّم أمور العبادات المحدّدة بزمان معين كالحج والصوم، والهلال هو المرجع في تعيين هذا الزمان.

إن أحكام الإسلام قائمة على مقاييس طبيعية لأنها متوفرة لدى جميع الناس ولا يؤثر عليها مرور الزمن، ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ ... مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ﴾. فعندما يُقدِم الإنسان على عمل سواء كان دينياً أو دنيوياً لا بد أن يبدأ به من طريق صحيح لا من طريق منحرفة، فعبادة الحج تبدأ في الوقت المقرَّر وتعيينه بواسطة الهلال.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾ كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن مسائل كثيرة، وكان يجيبهم بصدر رحب ومن خلال الآيات القرآنية فالسؤال هو أحد حقوق الناس على القادة، والسؤال هو مفتاح حل المشكلات، والسؤال بوابة العلوم، وهو علامة للسعي والحصول على المعرفة والعلم وخاصة عن الدين والقرآن.

الآية: (190 و191 و192 و193)

﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾﴾.

التفسير:

هذه الآية الكريمة نزلت تأمر المسلمين بمقاتلة الذين يُشهرون السلاح من المشركين ويقاتلوهم وعبارة ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ توضح الهدف الأساسي من الحرب في المفهوم الإسلامي، فالحرب ليست للإنتقام ولا للعلو في الأرض والزعامة، ولا للإستيلاء على أرض الغير ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ يقول الإمام عليّ عليه السلام: لا تقاتلوهم حتى يبدؤكم فإنكم بحمد الله على حُجَّة وترككم إياهم حتى يبدؤكم حجَّة أخرى لكم عليهم.

في الآية التالية التي تقول بصراحة، إن المشركين أخرجوا المؤمنين من ديارهم وصبّوا عليهم ألوان الأذى والعذاب فيجب على المسلمين أن يقتلوهم أينما وجدوهم، وهذا يعتبر دفاع عادل ومقابلة بالمثل، ولأنهم قاتلوكم وأخرجوكم من مكّة، ﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾ ثم يقول عز وجل: ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ أي أن عبادة الأصنام وكل ما ينتج عنها من فساد، وهي فتنة أشد من القتل، ثم تقول الآية أنه لا قتال في المسجد الحرام لأن له حرمة دائمة، ولكن إذا بدؤكم بالقتال فقاتلوهم، لأنهم هم من كسروا هذه الحرمة للحرَم الإلهي، فلا معنى للسكوت، بل قاتلوهم بشدة حتى لا يُسيئوا الإستفادة من قداسة الحرَم، إن منهج الإسلام التربوي، هو فسح المجال دائماً للتوبة فقال سبحانه: ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّالِمِينَ﴾ والآية التي قبلها: ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

إن الحكام والطواغيت أمثال الفراعنة والنمرود وقارون يحاربون دائماً دعوة الأنبياء ولا يرضون إلا بإزالة الدين الإلهي من الوجود، وعلى المؤمنين أن يتصدوا لهؤلاء الظالمين والجهاد هو قانون عام في عالم الأحياء.

والجهاد في الإسلام له ثلاثة أهداف:

١ ـ الجهاد الإبتدائي وهو من أجل التحرير.

٢ ـ والجهاد الدفاعي.

٣ ـ والجهاد لحماية المظلومين.

الإسلام لا يرضى للمسلمين الوقوف متفرجين مما يعاني منه المظلومين في العالم وهذا أمر مهم في الشريعة الإسلامية وهو الدفاع عن الحق.

والجهاد من أجل محاربة الشرك وعبادة الأوثان ومع ذلك فالإسلام يحترم العقيدة من أهل الكتاب وبما أنهم أقلية يتعايش معهم سلمياً ضمن شروط خاصة ولكن الشرك والوثنية ليسا بدين ولا عقيدة ولا يستحقون الاحترام بل هما خرافة وحمق ومرض فكري وأخلاقي ويجب أن يُستأصل.

الآية: (194)

﴿ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٞۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ١٩٤﴾.

التفسير:

كان المشركين على علم أن المسلمين يحضِّروا للحرب في الأشهر الحرام (ذي القعدة وذي الحجة ومحرَّم ورجب) لذا أرادوا أن يشنوا هجوماً مباغتاً على المسلمين في الأشهر الحرُم الآية تكشف مؤامرة المشركين وتقول للمسلمين: ﴿ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ﴾ أي قاتلوهم فلكم الحق ﴿وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٞۚ﴾.

ثم تشرّع الآية حكماً عامّاً يشمل:

﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾، أي يجب التصدي للظالم والمعتدي، ويعطى الحق للمظلوم والمعتدّى عليه بالمقابلة بالمثل، فالإستسلام في منطق الإسلام يعني الموت، والتصدي هو الحياة.

﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ أي أن الله لا يهمل المتقي في خضم المشكلات والأزمات بل يُعينه ويرعاه.

الآية: (195)

﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

التفسير:

﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾

الجهاد بحاجة إلى رجال وبحاجة إلى مال، بحاجة إلى عدة الحرب من سلاح وغذاء ووسائل نقل وغيرها.

﴿وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ﴾ معنى ذلك أن من لم يجاهد ولم ينفق للمجاهدين، فالعواقب وخيمة عندما يتسلَّط الأعداء على المسلمين، ولها مفهوم أوسع بأن على الإنسان أن يحتاط دائماً ولا يرمي نفسه في الخطر بدون استعداد وبدون عذر مقبول.

فالجهاد والتضحية بالنفس في سبيل الله، هي من أجل أهداف كبيرة ومقدسة وهي تهمُّ الأمَّة كلها، وهذا ليس إلقاء في التهلكة كما يعتقد بعض الجهال والإنفاق يمنع تراكم الثروة عند الأغنياء في المجتمع وتنشأ طبقة محرومة، فلا يلبث أن يحدث الإنفجار فيحرق الجميع، ويتضح أن الإنفاق يعمل على إبعاد الوقوع في التهلكة.

الآية: (196)

﴿وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ ۖ وَلَا تَحْلِقُواْ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْيُ مَحِلَّهُۥ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِي ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِي ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾﴾.

التفسير:

هذه الآية ذكرت أحكام الحج المهمة:

في مطلع الآية تأكيد على القيام وإتمام الحج والعمرة وأن هذه فريضة، الدافع لها مرضاة الله وطاعته.

تشير الآية إلى أن الأشخاص الذين لا يحالفهم الحظ أن يقوموا بمناسك الحج بسبب المرض أو غير ذلك، فمثل هذا الشخص عليه أن يذبح الهديَ ويخرج من إحرامه ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ﴾ ثم تشير الآية إلى أخر مناسك الحج ﴿وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ﴾، ثم تقول: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾.

النسك: الحيوان المذبوح ونسيكة ذبيحة.

فإذا كان هذا الشخص مريض أو به أذى، فهو مخيّر بين ثلاثة أمور: الصوم أو الصدقة أو ذبح شاة.

ثم تضيف الآية: ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ﴾ وهذه إشارة إلى واجب الذبح في حج التمتع ولا فرق في هذا الهدي بين الإبل والبقر أو الضأن، دون أن يخرج من الإحرام، ثم تبين الآية حكم الأشخاص الغير قادرين على ذبح الهدي في حج التمتع فتقول: فمن لم يجد أضحية أو لا يملك ثمنها فعليه صيام عشرة أيام. ثم تقول: ﴿ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾، أي أن الساكنين قرب المسجد الحرام في أطراف مكّة لا يجب عليهم حج التمتع، ولكن حج القران أو الإفراد.

الآية: (197 و198 و199)

﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى

ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾﴾.

التفسير:

تقول الآية: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ﴾.

وهي: شوال وذي القعدة وذي الحجّة.

ثم تقول: ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ﴾.

الرفث: الأمور الجنسية ومقدماتها.

فسوق: الخروج عن طاعة الله.

جدال: الكلام المقرون بالنزاع.

ينبغي أن تكون أجواء الحج طاهرة، لأنها أجواء عبادية تتطلب الإخلاص وترك اللذائذ المادية، حتى تقتبس روح الإنسان من هذا المحيط الطاهر قوّة جديدة تسوقها إلى عالم آخر بعيد عن المادة.

﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ﴾ فكل الأعمال هي بعين الله ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ﴾ فعطاء الحج المعنوي يشدُّ الإنسان إلى تاريخ الرسل والأنبياء وتضحياتهم وخاصة تضحية إبراهيم عليه السلام وهذه المعاني تعين الإنسان على مواصلة مسيرته نحو الله فيما بقي من عمره.

وفي المقطع الأخير من الآيات إشارة إلى ثلاث مواقف من الحج: (عرفات) وهي صحراء تقع على بعد ٢٠ كلم من مكّة، ثم الوقوف (بالمشعر الحرام أو المزدلفة) والثالث هو أرض (منى) وهي محل ذبح الأضاحي ورمي الجمرات وحلُّ الإحرام وأداء مناسك الحج.

وأهم هذه المناسك هي الوقوف في عرفات، في هذا المكان يشعر الإنسان حقاً بانشداد روحي ومعنوي لا يمكن التعبير عنه، وهو مكان مناسب جداً لمعرفة الله، ولمعرفة النفس والذات التي انفصلنا عنها زمناً طويلاً.

الآية: (200 و201 و202)

﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا ۚ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾﴾.

التفسير:

الآية: تقول: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ﴾، أي أنكم تذكرون آباءكم وأسلافكم من أجل الخصال والمواهب الحميدة، فعليكم أن تذكروا الله تعالى، وهو الرازق والواهب لجميع النعم في العالم وهو الخالق ومنبع ومصدر جميع الكمالات وصفات الجلال والجمال.

ويوضح القرآن أن هناك مجموعة من الناس لا تفكر إلّا بمصالحها المادية فتقول الآية: ﴿فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ والمجموعة الثانية تتحدث عنهم بقولها: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ وواضح أن للحسنة مفهوم واسع بحيث يشمل جميع المواهب المادية والمعنوية.

الآية: (203)

﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ ۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ اتَّقَىٰ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾﴾.

التفسير:

هذه الآية وردت في بيان مناسك الحج: ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾، وهي تعني تلاوة التكبيرات التالية: الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد، الله أكبر على ما هدانا ورزقنا.

ثم تشير الآية إلى الحكم الشرعي وتقول: ﴿فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰۗ﴾ وهذا التعبير إشارة إلى نوع من التخيير في أداء ذكر الله بين يومين أو ثلاثة ايام.

وفي نهاية الآية تقول: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ أي ولكن عليكم تقوى الله والحذر من الوقوع في الذنب مرَّةً أخرى، لأن الحجَّ يُطهِّر الإنسان من الذنوب السابقة كيوم ولدته أمَّه.

الآية: (204 و205 و206)

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾﴾.

التفسير:

هذه الآية تشير إلى بعض المنافقين حيث تقول: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾﴾.

هؤلاء صنف من الناس هم منافقين ولكن يظهرون المحبة ولكنهم مفسدين

في الأرض، ولو أنهم صادقين لما أفسدوا، فظاهرهم المحبة، وفي الباطن هم أشدُّ قسوة ووحشيّة من الكفَّار.

وتعبير ﴿وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ﴾ هو مختصر وجامع لكل أشكال الفساد والتخريب.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ﴾ فالغرور والتعصب والعناد يمنعانه من الرضوخ إلى الحق والعدل ﴿فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾.

الآية: (207)

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾﴾.

التفسير:

الآية تتعلق بحادثة هجرة النبي ﷺ وتضحية الإمام عليّ عليه السلام ومبيته على فراش النبي، ولكن مفهومها عامٌّ وشامل، وتقع بالمقابل للآيات السابقة التي تتحدث عن المنافقين.

تقول الآية: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾ ﴿وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾، أي أن الله يشتري الأنفس من العباد بأغلى الأثمان، والبائع هو الإنسان والثمن هو رضوان الله تعالى، والخلود في الجنة والنجاة من النار.

الآية: (208 و209)

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾﴾.

التفسير:

تدعو هذه الآيات الكريمة، كل المؤمنين إلى السِّلم وتقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ﴾ معنى ذلك أن السلام والطمأنينة لا تتحقق إلا في ظلّ الإيمان ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾ ﴿فَإِن زَلَلۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡكُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾، أي أن الإنحراف يبدأ من مراحل بسيطة (كخطوة أولى) ثم ينتهي بمراحل خطرة (أي خطوات).

وجملة ﴿إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾ أي أن عداء الشيطان للإنسان ليس خفيّ فهو منذ خلق الله آدم، أقسم أن يغوي جميع البشر، إلا عباد الله المخلصين. فلو انحرفتم وسرتم مع وساوس الشيطان، فلن تستطيعوا الفرار من العدالة الإلهية. ﴿أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾.

الآية: (210)

﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ٢١٠﴾.

التفسير:

الآية تخاطب الرسول ﷺ وتقول: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ﴾.

والمراد من جملة ﴿وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۚ﴾ الوارد في الآية هي نزول العذاب الإلهي على الكفار المعاندين، لأن ظاهر الآية يتعلق بهذه الدنيا.

وفي نهاية الآية تقول: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ﴾ فالأمور المتعلقة بإرسال الأنبياء ونزول الكتب السماوية وتبيان الحقائق يوم القيامة والحساب والجزاء والثواب والعقاب كلها تعود إلى الله عزّ وجلّ.

فالذات الإلهية المقدسة، يستحيل رؤيتها بهذه العين لا في الدنيا ولا في الآخرة، والأدلّة العقلية واضحة إلى درجة أنه لا حاجة لشرحها وبيانها. ولكن رؤية الله بعين القلب، ممكنة في الدنيا والآخرة مع المسلَّم أن في الأخيرة يكون الظهور أقوى وأشدّ فتكون المشاهدة في القلب أقوى.

الآية: (211)

﴿سَلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ كَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُم مِّنۡ ءَايَةم بَيِّنَةٖۗ وَمَن يُبَدِّلۡ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢١١﴾.

التفسير:

﴿سَلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ كَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُم مِّنۡ ءَايَةم بَيِّنَةٖۗ﴾ ولكنهم تجاهلوا وتغافلوا عن هذه الآيات والعلامات الواضحة، وعن الهبات والنعم الربانية، وأنفقوها في موارد منحرفة: ﴿وَمَن يُبَدِّلۡ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾؛ وهم مصداق واضح لكل الكافرين الذين يتجاهلون آيات الله وبراهينه الواضحة ويتذرّعون بمختلف الحجج والمعاذير.

إن تبديد النعم واستخدام الإمكانات المادية والمعنوية والإنحراف وممارسة الظلم والطغيان نتيجتها هي غضب من الله وعقاب شديد، وهؤلاء جعلوا من الدنيا مكاناً غير آمن.

الآية: (212)

﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَيَسۡخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٢١٢﴾.

التفسير:

نزلت هذه الآية في أبي جهل وغيره من رؤوساء قريش الذين كانوا يسخرون من عبد الله بن مسعود، وعمَّار وبلال، وكانوا يقولون لو أن محمداً نبيًّا لاتبّعه أشرافنا تقول الآية: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ﴾ فهؤلاء أفقدهم الغرور والكبر شعورهم وصاروا ﴿وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ في حين أن المؤمنين في أعلى عليين من الجنَّة، وهؤلاء في دركات الجحيم ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾.

المقامات المعنوية تتجسد في ذلك العالم، ويكتسب المؤمنون درجات أسمى وأعلى من هؤلاء، وليس هذا بعجيب ﴿وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ وهذه بشارة للمؤمنين الفقراء، وإنذار وتهديد للأغنياء والأثرياء المغرورين.

﴿وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ يعني أنه يعطي الثواب الكثير، لا يعطي على قدر الأعمال بل يزيد في عطائه وكرمه ولطفه الذي ليس له حدود.

الآية: (213)

﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾﴾.

التفسير:

﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾.

تبدأ هذه الآية بتبيان مراحل الحياة البشرية وكيفية ظهور الدين لإصلاح المجتمع بواسطة الأنبياء وكان ذلك على مراحل:

المرحلة الأولى: وهي بين آدم ونوح عندما لم يكن هناك تناقضات

واختلافات بين الناس، وكانت أمة واحدة يعبدون الله استجابة لنداء الفطرة ويؤدون فرائض بسيطة.

المرحلة الثانية: عندما اتخذت حياة الناس شكلاً اجتماعياً.

المرحلة الثالثة: مرحلة التناقضات والإصطدامات بين أفراد المجتمع البشري، عند ذلك نشأت الحاجة إلى تعاليم الأنبياء وهدايتهم.

والمرحلة الرابعة: وقد بعث الله الأنبياء لإنقاذ الناس ﴿وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾.

الآية: (214)

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾.

التفسير:

هذه الآية نزلت يوم معركة الخندق لما اشتدَّت مخافة المسلمين وحوصروا في المدينة فدعاهم الله إلى الصبر ووعدهم بالنصر.

وهي تحكي إحدى السنن الإلهية في الأقوام البشرية جميعاً، وتنذر المؤمنين في جميع الأزمنة، أنهم ينبغي عليهم لنيل النصر أن يتقبلوا الصعوبات والمشاكل والصعوبات هي امتحانات وتربية للمؤمنين، ولتمييز المؤمن الحقيقي من المتظاهر بالإيمان.

الآية: (215)

﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾﴾.

التفسير:

هذه الآية تتناول مسألة الإنفاق، فهناك من يسأل عن ماذا ينفق، ولذلك جاءت الآية بهذا الشكل.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ﴾، في الجواب بيَّنت الآية نوع الإنفاق، ثم تطرقت إلى الأشخاص المستحقين للنفقة.

وكلمة خير تعني كل عمل يشتمل على الخير والفائدة للناس إن كان مادياً أو معنوياً.

وبدأت الآية أولاً بالأقربين: الوالدين ثم اليتامى ثم المساكين ثم أبناء السبيل ﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ أي قد يكون من الأفضل أن لا يطَّلع الناس على هذا العمل، لأن الله يعلمه فلا يضيع عنده سبحانه، عمل عامل من البشر.

الآية: (216)

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾.

التفسير:

كلمة ﴿كُتِبَ﴾ إشارة إلى حتمية الأمر الإلهي والمراد بهذه الجملة، أن

الحرب مع الأعداء، أمر مكروه على الناس العاديين، لأن الحرب تقترن بتلف الأموال والنفوس وأنواع المشقات والمصائب، أما بالنسبة لعشّاق الشهادة في سبيل الحق، فالحرب مع أعداء الحق بمثابة الشراب العذب للعطشان، ولا شك أن حساب هؤلاء يختلف عن حساب سائر الناس وخاصة في بداية الإسلام.

ثم تشير الآية إلى مبدأ أساسي في القوانين الإلهية وهو: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ﴾، ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۗ﴾، ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾، فعلينا أن لا نحكمِّ أذواقنا ومعارفنا في الأمور التي يأمرنا الله بها، لأن علمنا بنتيجة هذه الأعمال محدود، وعلم الله غير محدود، فكل تشريع إلهي يشرّعه لنا هو لصالحنا وإن كان غير محبوب لنا.

الآية: (217 و218)

﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ قِتَالٖ فِيهِۖ قُلۡ قِتَالٞ فِيهِ كَبِيرٞۚ وَصَدّٞ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفۡرُۢ بِهِۦ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ وَإِخۡرَاجُ أَهۡلِهِۦ مِنۡهُ أَكۡبَرُ عِندَ ٱللَّهِۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَكۡبَرُ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ وَمَن يَرۡتَدِدۡ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتۡ وَهُوَ كَافِرٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢١٨﴾﴾.

التفسير:

الآية الأولى تجيب عن الأسئلة المرتبطة بالجهاد، والإستثناءات في هذا الحكم الإلهي؛ فتقول: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ﴾ ثم تعلن الآية حرمة القتال وأنه من الكبائر ﴿قُلۡ قِتَالٞ فِيهِ كَبِيرٞۚ﴾؛ أي إثم كبير ثم يقول القرآن الكريم بأن هذه السُّنة هي حسنة وجيدة وهي موجودة منذ القديم بين العرب الجاهلية، وهي تحريم القتال في الأشهر الحرم: (رجب، ذي القعدة، ذي الحجة ومحرّم)، ثم تضيف الآية، بأن هذا القانون لا يخلو من الإستثناءات، فلا ينبغي السماح لبعض

المجموعات الفاسدة لاستغلال هذا القانون في إشاعة الظلم والفساد، فعلى الرغم من أن الجهاد حرام في هذه الأشهر الحرم، ولكن الصدّ عن سبيل الله والكفر به، وهتك المسجد الحرام وإخراج الساكنين فيه، هو أعظم إثماً وجرماً عند الله، ﴿وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ﴾.

ثم تضيف الآية: بأن إيجاد الفتنة والسعي في إضلال الناس وصرفهم عن سبيل الله ودينه أعظم من القتل: ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ لأن قتل روح الإنسان أهم من قتل جسمه.

ثم تحذّر الآية من أن المشركين لا يقنعون منكم إلا بترككم لدينكم إن استطاعوا: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾، فيجب أن تقفوا بوجههم في حزم وقوّة، ثم تنذر الآية المسلمين من الإرتداد عن دينهم، فتحبط أعمالهم في الدنيا والآخرة ويكونوا من أصحاب النار.

أما المؤمنون المجاهدون فهم الطائفة التي يتحلى أفرادها بصفات مهمة: وهي الإيمان والهجرة والجهاد، وقد يرتكبون خطأ بسبب جهلهم ولكن الله يغفر لهم بلطفه ورحمته.

الآية: (219 و220)

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾﴾.

التفسير:

الآية الأولى تجيب عن سؤالين حول الخمر والميسر: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ﴾.

قال الرسول ﷺ عندما سئل عن الخمر والميسر قال: «**كل سائل مسكر سواء أُخذ من العنب أو من الزبيب أو من التمر أو أي شيء آخر**».

والميسر: سميّ بذلك لأن المقامر يستهدف الحصول على الثروة بيسر دون عناء.

ثم تقول الآية: ﴿قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾، الإنسان العاقل لا يقدم على عمل فيه ضرر وإثم كبير من أجل نفع ضئيل.

والسؤال الثالث: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾.

العفو: يطلق على معان كثيرة، منها العفو والمغفرة والصفح وقد يكون المعنى هنا هو الإنفاق كل ما زاد عن الحاجة: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾، أي أن الإنسان بالإضافة إلى التسليم، يجب أن يطيع أوامر الله عن تفكر وتعقل، لا عن اتباع أعمى، فعلى المسلم أن يسعى إلى فهم أسرار روح الأحكام الإلهية، ثم تذكر الآية سؤال آخر: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ والقرآن الكريم يشدِّد على المسلمين بعدم إهمال اليتامى ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ﴾؛ فالله مطَّلع على نياتكم ويعلم من يقصد السوء بالإستفادة من أموال اليتامى ومن هو مخلص لهم.

والآية الأخيرة ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ﴾، أي أن الله قادر أن يُضيّق عليكم برعاية اليتامى، لكن الله لا يفعل ذلك أبداً لأنه عزيز وحكيم ولا يضيق على عباده ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

الآية: (222)

﴿وَلَا تَنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُواْ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُوْلَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾﴾.

التفسير:

هذه الآية هي جواب عن سؤال آخر حول الزواج من المشركين: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ﴾، فتقول الآية: ﴿وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾، لأن هدف الزواج هو ليس العلاقة الجنسية فقط، فالمرأة شريكة الرجل ومربية لأطفاله، ثم تقول الآية حكماً آخر: ﴿وَلَا تُنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُواْ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾، حتى أن الآية رجّحت العبد المؤمن على الرجال المشركين من أصحاب النفوذ والمال والجمال الظاهري.

وفي ختام الآية تذكر أن: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾، أي أن هذه الأحكام الشرعية تبيّن أن مسألة تشكيل الأسرة هو نوع من العبادة لله تعالى ويجب أن يكون خاضعاً للتفكر والتدبر.

الآية: (222 و223)

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾﴾.

التفسير:

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ﴾ وهو سؤال آخر عن العادة الشهرية عند المرأة.

والإجابة هي: ﴿فَٱعْتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾ لأن الجماع في أيام المحيض ينطوي على اذى كبير وضرر، كذلك ينصح الأطباء أيضاً باجتناب الجماع في هذه الحالة، وكلمة ﴿يَطْهُرْنَ﴾ تجوّز المقاربة الجنسية بعد الطهارة من الحيض.

وفي الآية الأخيرة: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾، المرأة بموجب هذا التعبير ليست وسيلة لإطفاء الشهوة فقط، ولكن الغاية منها حفظ النوع البشري أيضاً.

﴿وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمْ﴾، والهدف النهائي من هذه العلاقة ليس الإستمتاع فقط، ولكن أن يقدِّم المؤمنون أبناء صالحين للمجتمع الإنساني الكبير.

الآية: (224 و225)

﴿وَلَا تَجْعَلُواْ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ وَتُصْلِحُواْ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾﴾.

التفسير:

﴿وَلَا تَجْعَلُواْ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ وَتُصْلِحُواْ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾، هذه مقدمة عن القسَمْ الذي يتردد على ألسن بعض الناس دون انتباه لمعناه الحقيقي، ثم تقول الآية: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾، إن تكرار القسَمْ في الكلام هو مجرد عادة، فالعمل بهذا القسَمْ غير واجب، ولا كفّارة عليه، لأنه لم يكن عن نيَّة حقيقية وإرادة، وهذا القسَمْ لا يُعبأ به.

أما النوع الثاني، وهو القسَمْ الصادر عن عزم وإرادة ونابع من القلب، فهذا القسَمْ معتبَر ويجب الإلتزام به، ومخالفته ذنب موجب للكفارة.

الآية: (226 و227)

﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُواْ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾﴾.

التفسير:

القسَمْ على ترك العلاقة الجنسية مع الزوجة، هو تقليد جاهلي كان شائعاً بين العرب واستمر معمولاً به عند المسلمين الجدد قبل نزول آية الطلاق.

كان الرجل في الجاهلية حين يغضب من زوجته، يقسم على عدم إقامة علاقة جنسية معها، فيشدد عليها بهذه الطريقة، لا يطلقها لنتزوج رجل آخر، ولا يعود إليها بعد هذا القسَمْ، وهو بذلك لا يواجه صعوبة لأنه متزوج غيرها.

الآية الكريمة وضعت حداً لهذه القضية، فذكرت أن على الرجل أن يتخذ قراراً خلال أربعة أشهر إما أن يعود عن قَسَمِهِ ويدفع كفارة، أو يطلقها وتقول الآيـــة: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ وفيما لو أهمل الزوج كلا الطريقين ولم يختر أحدهما، ففي هذه الحالة يتدخل حاكم الشرع ويأمر بإلقاء الزوج في السجن، حتى يختار أحد الأمرين.

الآية: (228)

﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾﴾.

التفسير:

تذكر هذه الآية بعض أحكام الطلاق، وفي البداية ذكرَت عِدَّة الطلاق: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾، حيث يشترط على المرأة بعد الطلاق؛ أن تكون في حالة طُهر من العادة الشهرية، لم يجامعها زوجها فيُحسب هذا الطهر مرّةً واحدة، وعندما يتم الطهر الثالث يجوز لها حينئذ الزواج.

الحكم الثاني: قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ المرأة هي المرجع في معرفة بداية العدَّة ونهايتها وللزوج حق الرجوع إلى زوجته في عدَّة الطلاق، فتقول: ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓاْ إِصْلَٰحًا﴾، ثم تبين الآية حكماً رابعاً فتقول: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾. حيث أن للرجال حقوق على النساء، وللنساء حقوق على الرجال، يجب مراعاتها، وكلمة بالمعروف تعني التعامل بطريقة حسنة ومعقولة وبإحترام متبادل.

ولكن هناك اختلافات في القوى الجسمية والروحية، بين الرجل والمرأة، ولهذا كانت إدارة الأسرة بعهدة الرجل ومشاركة المرأة، وهذا لا يكون مانعاً من تفوُّق بعض النساء بالعلم والتقوى على كثير من الرجال فالحكمة الإلهية أوجبت لكل شخص في المجتمع وظائف وحقوق معيَّنة تتناسب مع قدراته وقابلياته الجسمية والروحية.

الآية: (229)

﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾﴾.

التفسير:

كان الرجل في الجاهلية، إذا طلَّق زوجته يستطيع أن يعود إليها قبل أن تنقضي عدَّتها، وإن طلّقها مرات عديدة، هذه الآية تحول دون هذا السلوك المنحط وتقرّر أن الطلاق والرجوع هو شرعي لمرتين فقط، أما إذا تكرّر الطلاق لمرّة ثالثة فلا رجوع إلّا بشروط معيَّنة، وهو الطلاق الأخير.

وتضيف الآية: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ﴾، أي أن

المحبة والحنان يمكن إعادتهما في المرتين السابقتين ولكن في المرة الثالثة لا يحق الرجوع إلا بشروط معينة، وأما التسريح بإحسان، يعني أن يؤدي الرجل للمرأة حقوقها بعد الإنفصال النهائي، وأن لا يسعى الزوج للإضرار بالمرأة، ولا أن يعيبها فيغتابها أو يتهمها بكلمات رخيصة، تُسقِط شخصيتها أمام الناس فيحرمها من الزواج من جديد، ولهذا تضيف الآية الكريمة: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا﴾. لا يستطيع الزوج أن يأخذ من أعطاها من مهر شيئاً، ولكن هناك حالة واحدة، يجوز فيها إستعادة المهر وذلك عندما تريد المرأة الطلاق وليس الرجل، فتقول الآية: ﴿إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾، ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ﴾، أي دفع التعويض والفدية للتخلص من الرابطة الزوجيّة حتى يستطيع الرجل أن يتزوج من امرأة أخرى. ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

الآية: (230)

﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۗ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾﴾.

التفسير:

يجوز للمرأة والرجل بعد الطلاق الثاني أحد أمرين: إما أن يتصالحا ويرجعا إلى الحياة الزوجية، وإما أن ينفصلا إنفصالاً نهائياً، إلّا إذا تزوجت المرأة زوجاً آخر وطلّقها، فلها عند ذلك أن ترجع إلى زوجها الأوّل إذا رأيا أنهما قادران على أن يعيشا معاً ضمن حدود الله.

ولكن للزواج بعد الثاني شرطين:

الأول: أن يكون عقد الزواج دائم.

الثاني: أن يتم الإتصال الجنسي مع الزوج الثاني.

الآية: (231)

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾﴾.

التفسير:

تُكمل هذه الآية تبيان الأحكام التي أقرَّها الإسلام للطلاق.

تقول الآية: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾، ما دامت العدَّة لم تنته، فإن للرجل أن يصالح زوجته، ولكن أي رجوع أو تسريح، يجب أن يكون في جو من الإحسان والمعروف، لا يخالطه شيء من روح الإنتقام ثم تقول الآية: ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا﴾ ﴿لِّتَعْتَدُوا۟ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾.

كان أهل الجاهلية يتخذون من الطلاق والرجوع، وسيلة للإنتقام، ولكن القرآن يقول بأسلوب قاطع، إن استرجاع الزوجة، لا يكون رغبةً في الإيذاء والإعتداء، فهو ظلم للزوجة وظلم للزوج. ثم يحذّر القرآن الجميع ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا﴾ وهذه إشارة إلى الأشخاص الذين يتمسكون بظاهر الآيات، من أجل التحايل على الشرع، فهذا العمل هو استهزاء بآيات الله.

المهم هو التمسك بروح الأحكام الإلهية العادلة، ثم تقول الآية: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾، أي أن الله أنقذكم من خرافات وتقاليد الجاهلية وأرشدكم إلى أحكام إلهية، فعليكم أن تقدروا هذه النعمة وتؤدّوا حقها ولا يخفى على الله نواياكم ولا أعمالكم.

الآية: (232)

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾﴾.

التفسير:

النساء كنَّ في الجاهلية تحت سيطرة الرجال ولا يحق للمرأة أن تختار زوجها، حتى عندما تطلّق لم يكن لها الحق بالرجوع إلى زوجها، إلا بطاعة أوليائها.

إلا أن القرآن رفض أن يكون للأولياء مثل هذا الحق لأن الزوجين هما ركنا الزواج الأصليّان، فإذا اتفقا على العودة يستطيعان ذلك ولا حقّ لأحد الإعتراض تقول الآية: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ﴾، ثم تضيف الآية وتحذّر: ﴿ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾، ثم تقول: ﴿ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

يشير هذا المقطع من الآية: إلى أن هذه الأحكام شُرّعت لمصلحتكم، والذين ينتفعون منها هم الأشخاص المؤمنون بالله وبيوم المعاد، ولا يتبعون أهواءهم.

الآية: (233)

﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾﴾.

التفسير:

هذه الآية تبحث مسألة الرضاع، فهناك سبعة أحكام في هذا الباب.

١ ـ تقول الآية: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾.

٢ ـ ليس من الضروري أن تكون فترة الرضاعة سنتين حتماً، إنما السنتان لمن ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ﴾.

٣ ـ نفقة الأم في الطعام واللباس، حتى عند الطلاق أثناء فترة الرضاعة تكون على والد الطفل، لكي تتمكن الأم من العناية بطفلها مرتاحة البال وبدون قلق، ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾، تعبير المولود له (بدلاً عن الأب) هي لاستشارة الأبوّة والحث على أداء الواجب، بالإنفاق على الأم والوليد، لأن الطفل ابنه وثمرة فؤاده.

٤ ـ لا يحق للوالدان أن يجعلا مستقبل وليدهما مرتبطاً بالاختلافات، حتى لا يتأثر الطفل ولا الأم ﴿لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ﴾ وعلى الأب أن لا ينتزع الطفل من أمه خلال فترة الرضاعة وعلى الأم، أن لا تنفصل عن إرضاع وليدها، ولا أن تحرم الأب من رؤيته.

٥ ـ إذا توفي الأب تقول الآية: ﴿وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ﴾ أي يجب على الورثة تأمين احتياجات الأم في مرحلة الرضاعة للطفل.

٦ ـ تتحدث الآية عن مسألة فطام الطفل، على الوالدان أن يفطما الطفل حسب ما تقتضيه صحة الطفل وسلامته، وتقول الآية: ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾، وعلى هذا الأساس، فلا مانع من اختيار مرضعة بدل الأم بعد توافق الطرفين.

وفي الختام تحذر الآية الجميع: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فالله يراقب الجميع ويراقب أعمالهم.

الآية: (235 و235)

﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۬ وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾﴾.

التفسير:

إن احترام الحياة الزوجية بعد موت أحد الزوجين أمر فطري، ولكن هناك عادات كانت تبلغ حد الإفراط في تقييد المرأة، احتراماً لذكرى زوجها الراحل، إلى حدّ أن كانت بعض القبائل تحرق المرأة بعد موت زوجها.

إلا أن الآية المذكورة، تلغي كل هذه الخرافات، ولكنها تحافظ على احترام الحياة الزوجية بإقرار العدّة: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ﴾.

وأحياناً يتدخل أولياء المرأة، في زواجها تِبعاً لمصالحهم تقول الآية: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾، أي أن الله سيجازي كل شخص حسب عمله من أعمال سيئة أو حسنة.

وقد قال أئمة المسلمين: أن على المرأة الأرملة التي مات زوجها، أن تحافظ على مظاهر الحزن خلال هذه المدَّة، وتأمرها بالإلتزام بالعدّة، حتى ولو لم يكن أي احتمال أنها حامل.

الآية الثانية: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ﴾ هذه الآية تبيح للرجال أن يخطبوا النساء في عدّة الوفاة بالكناية

والإضمار في النفس، وهذا الحكم هو من لا يحرم المرأة من تعيين مصيرها من جهة أخرى. ومن الطبيعي أن تفكر المرأة في مصيرها بعد وفاة زوجها، وكذلك أن يفكر بعض الرجال بالزواج من الأرامل للشروط اليسيرة السهلة في زواج الأرملة.

ثم تضيف الآية: ﴿وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ﴾ لأنه إذا تمَّ العقد على المرأة أثناء العدّة، فهو عقد باطل، بل إنه إذ أقدم على هذا العمل وهو عالم بالحُرمة، فإن المرأة تُحرم عليه أبداً.

الآية: (236 و237)

﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾﴾.

التفسير:

في هاتين الآيتين، أحكاماً أخرى للطلاق تقول الآية في البداية: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾، هذا يعني جواز طلاق النساء قبل المقاربة الجنسية وقبل تعيين المهر، هذا إذا علم الرجل أو كلا الزوجين بعد العقد، وقبل المواقعة، أنهما لا يستطيعان استمرار الحياة الزوجية هذه، فمن الأفضل أن يفترقا، في هذا الوقت بالذات، لأن الطلاق بالمراحل اللاحقة سيكون أصعب.

ثم تبيّن حكماً آخر ويقول: ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ﴾، أي يجب أن تمنح المرأة هدية تناسب شؤونها فيما لو جرى الطلاق، وهذه الهدية تكون حسب قدرة الرجل: ﴿عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ أي أن الهديَّة،

لا يكون فيها إسراف ولا بخل، ولهذه الهدية، لا يكون فيها إسراف ولا بخل، ولهذه الهدية أثر كبير للقضاء على روح الإنتقام، وحتى لا تترك أي آثار نفسية سيئة لدى الرجل والمرأة، ويعتبر هذا العمل من باب الإحسان حق ﴿عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾، وتعبِّر الآية عن هذه الهدية (بالمتاع).

وتتحدث الآية التالية: عن حالة الطلاق قبل المضاجعة ولكن بعد تعيين المهر، فتبيّن أن الحكم هو دفع نصف المهر المعيَّن، ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَاْ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾ ثم تكمل الآية وتقول: ﴿وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

وجملة ﴿وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ تبيّن جانباً آخر من واجبات الزوج، وهي أن يتنازل الزوج ولا يسترجع شيئاً من المهر الذي دفعه، وإن لم يكن دفعه فمن الأفضل دفعه كاملاً، متنازلاً بذلك عن النصف الذي هو من حقه، حتى لا يترك الطلاق أثراً سيئاً على نفسية المرأة.

الآية: (238 و239)

﴿حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾﴾.

التفسير:

بما أن الصلاة افضل وسيلة مؤثرة تربط بين الإنسان وخالقه، فقد ورد التأكيد عليها في آيات القرآن الكريم وهذه الآية تقول: ﴿حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ﴾ والمراد من ﴿وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ هي صلاة الظهر، والتأكيد على هذه الصلاة بسبب حرارة الصيف أو بسبب انشغال الناس في أمور الدنيا والكسب، ولذلك كانوا لا يُعيرون لها أهمية.

وفي الآية التالية تؤكد، أن المسلم لا ينبغي له ترك الصلاة حتى في أصعب الظروف، وحتى في ميدان القتال أما شروط إقامة الصلاة في هذا الحال فتكون غير لازمة ولذا تقول الآية: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا﴾ سواء كان الخوف في حال الحرب، أو الخوف من خطر آخر فيجب أداء الصلاة بالإيماء والإشارة للركوع والسجود والإتجاه نحو القبلة غير لازم، سواء كنتم مشاة أو راكبين ﴿فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾، أي في حالة الأمان يجب عليكم أداء الصلاة بالشكل الطبيعي.

الآية: (240 و241 و242)

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾ وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾﴾.

التفسير:

بداية تتحدث الآية عن الأزواج الذين هم في حالة احتضار ولهم زوجات فتقول: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾، أي أن الأشخاص من المسلمين الذين حانت ساعة وفاتهم وبقيت زوجاتهم على قيد الحياة، فينبغي أن يوصوا لأزواجهم النفقة لمدة سنة كاملة، هذا إذا بقيت الزوجة في بيت زوجها، وتضيف الآية: ﴿فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ﴾ كأن يخترن زوجاً جديداً، فلا مانع من ذلك، ولا إثم عليكم ولكن يسقط حقها في النفقة والسكن.

أما بالنسبة للمطلقات: ﴿وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾، أي أن على المتقين أن يقدّموا هدية لائقة للنساء والمطلقات.

الآية: (243)

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾﴾.

التفسير:

هذه الآية تشير إلى قصة أحد الأقوام السالفة الذي انتشر بين أفرادها مرض خطير، بحيث هرب الآلاف منهم فراراً من الموت، فتقول الآية: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾ ثم أشارت الآية إلى عاقبتهم ﴿فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ ۚ﴾ لتكون قصة موتهم وحياتهم مرّةً أخرى عِبرة للآخرين، وأن لا هروب من قضاء الله وقدَرِه، وكلمة ﴿مُوتُواْ﴾ أي أن الله أوجد أسباب هلاكهم، فماتوا جميعاً في وقت قصير، وجملة: ﴿ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ ۚ﴾ إشارة إلى عودتهم إلى الحياة بعد موتهم استجابة لدعاء نبيّهم (حزقيل) ولمّا كانت عودتهم إلى الحياة مرَّةً أخرى، من النعم الإلهية البيّنة. تقول الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾.

تدلّ هذه الآية، على المعاد وإحياء الموتى يوم القيامة.

الآية: (244 و245)

﴿وَقَـٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَـٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ ۖ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾﴾.

التفسير:

هذه الآيات تبدأ بالحديث عن الجهاد وتقول: ﴿وَقَـٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوٓاْ

أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، أي أن الله يسمع أحاديثكم ويعلم نياتكم ودوافعكم النفسية إلى الجهاد.

ثم تضيف: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ إن إنفاق المال في طريق الجهاد، وحماية المستضعفين فهو إقراض لله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ﴾ أي لا تظنوا أن الإنفاق والبذل سوف يؤدي إلى قلة أموالكم، لأن سعة وضيق أرزاقكم بيد الله.

الآية: (246 و247 و248 و249 و250 و251 و252)

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَاۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًاۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦۚ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْۗ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦۗ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾﴾.

التفسير:

في أول آية يخاطب الله نبيّهُ الكريم ويقول: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾.

الملأ: الجماعة التي تجتمع على رأي واحد فتملأ العيون بهاءً وهذه الجماعة من بني إسرائيل ارادت أن تحارب المعتدي الذي أخرجهم من أرضهم، وقد وُصِفَت تلك الحرب بأنها في سبيل الله.

ولكن نبيّهم كان يعرف منهم الضعف والخوف، فقال لهم: ﴿هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟﴾ ولكنهم قالوا: كيف لا نحارب العدو الذي ﴿أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا﴾، ومع ذلك: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

وكان نبيّهم قد أجابهم وجعل عليهم طالوت ملكاً بأمر من الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾ وطالوت كان ملكاً وقائداً للجيش، عند ذلك بدأت الاعتراضات: ﴿قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ﴾.

وكان الجواب القاطع على هذا القول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ﴾، يعني أن الله اختاره، وأنتم على خطأ في اختيار القائد، لأن النسب الرفيع والثروة الكبيرة ليست امتيازاً للقائد، وهي امتيازات ظاهرية، أما العلم والمعرفة وكذلك القوة الجسمية، فهما امتيازان واقعيان مهمان لدور القائد.

ثم تضيف الآية: ﴿وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾، ومع ذلك فقد طلب بنو إسرائيل الدليل، فكان جواب النبي، أن الدليل سيكون مجيء التابوت أو صندوق العهد إليهم: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ﴾ والتابوت هو الصندوق الذي وضعت فيه أم موسى إبنها موسى وألقته في اليمّ، بعد أن انتشال أتباع فرعون الصندوق من البحر وأتوا به إلى فرعون

وأخرجوا موسى منه، ظلَّ الصندوق في بيت فرعون، ثم وقع بأيدي بني إسرائيل فكانوا يتبركون به، وقد وضع فيه موسى عليه السلام الألواح الخشبية التي تحمل أحكام الله (التوراة) ودرعه وأشياء أخرى تخصه وأودعه لدى وصيّهِ (يوشع بن نون).

وكان لهذا الصندوق أهمية كبيرة عند بني إسرائيل فكانوا يحملونه معهم كلما نشبت حرب بينهم وبين الأعداء، ليرفع من معنوياتهم، ولكن بعد أن تخلّوا عن التزامهم الديني وغلبة الأعداء ضاع الصندوق منهم، ولكن النبي (أشموئيل) وعدَهم بإعادة هذا الصندوق، ولتكون معجزة ودليل على صدق قوله: ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ﴾ كان هذا الصندوق يضفي السكينة ويرفع معنويات بنو إسرائيل ﴿تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾.

وعندما رأى بنو إسرائيل الصندوق صدَّقوا ووافقوا على أن يكون طالوت ملكاً عليهم بعد أن رأوا الأدلّة والمعجزة الإلهية ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ وبعد أن رضخ بنو إسرائيل لقيادة طالوت، ألَّف جيشاً منهم وساروا لمقاتلة أعدائهم، ولكن عادوا وتعرَّضوا لاختبار عجيب، حيث يقول القرآن: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ﴾، وهذا الإمتحان الكبير الذي تعرَّض له بنو إسرائيل على صبرهم وطاعتهم للأوامر والقيادة الإلهية.

ولكن الأكثرية منهم شربوا، وهكذا جرَت التصفية الثانية في جيش طالوت، وكانت التصفية الأولى عند من لبَّى نداء الحرب ومن تخلَّف عنها ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾، ولما بقيت القلَّة التي نجحت في الإمتحان هي التي سارت معه، ولكن حتى هذه القلَّة عندما رأوا أنهم مقدمون على مواجهة جيش جرَّار، وقد ارتفعت الأصوات تطالب طالوت بأنهم قلَّة، وهكذا بدأت المرحلة الثالثة من التصفية ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾، (الظن هنا بمعنى اليقين) أي أنهم على يقين بيوم القيامة والبعث وبأن النصر سيكون حليفهم.

وفي الآية التالية: يذكر القرآن المواجهة الحامسة بين الجيشين ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا۟

لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾، طلب طالوت وجنوده من الله العلي القدير الصبر والإستقامة وأن يثبّت أقدامهم ﴿وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾، ومن المسلَّم أن الله لا يترك عباده هؤلاء وحدهم وهم مع قلّة عددهم وكثرة عدوهم ولذلك تقول الآية: ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ﴾.

كان داوود في ذلك الوقت، شاباً صغيراً ولكنه شجاع وهو في جيش طالوت، وكان ماهراً في قذف الحجارة بالقلّاب، حيث وضع في قلّابهِ حجراً ورماه بقوَّة ومهارة نحو جالوت فأصابه الحجر في جبهته فصرعه، فتسرّب الخوف إلى جميع أفراد الجيش، وانهزموا بسرعة أمام جيش طالوت، وقد أراد الله أن يظهر قدرته ويبيّن أن الجيش الجرَّار لم يستطع الوقوف أمام شاب مراهق مسلح بسلاح ابتدائي لا قيمة له، وتضيف الآية: ﴿وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُۗ﴾ وقد وصل داوود إلى مقام النبوَّة.

وفي الآية الأخيرة إشارة إلى قانون كلّي فتقول: ﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾، وهذه الآية تبشر المؤمنين الذين يقفون في مواجهة الطواغيت والجبابرة، سيكون الله ذو فضل عليهم وينصرهم.

وآخر آية في هذا البحث: ﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾.

تشير هذه الآية: إلى القصص الكثيرة التي وردت في القرآن، تدل جميعها على قدرة الله وعظمته، وهي ليست أساطير إنما هي حقيقية وصادقة، وقد نزلت على النبي ﷺ وكانت من دلائل صدق نبوَّته.

الآية: (253)

﴿تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۘ مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ وَرَفَعَ بَعۡضَهُمۡ دَرَجَٰتٖۚ وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِۗ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقۡتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِم

مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخۡتَلَفُواْ فَمِنۡهُم مَّنۡ ءَامَنَ وَمِنۡهُم مَّن كَفَرَۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقۡتَتَلُواْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾﴾.

التفسير:

هذه الآية تشير إلى درجات الأنبياء ومراتبهم ودورهم في حياة المجتمعات البشرية فتقول الآية: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ المقصود موسى عليه السلام المعروف باسم (كليم الله).

ثم تضيف الآية: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍۚ﴾ تشير إلى درجات الأنبياء ومراتبهم، يمكن أن يكون المراد أنبياء معينين على رأسهم نبيّ الإسلام الكريم لأن دينه آخر الأديان وأكملها أو بعض الأنبياء السابقين مثل إبراهيم عليه السلام وعيسى عليه السلام: ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِۗ﴾، أي وهبنا عيسى براهين واضحة مثل شفاء المرضى وإحياء الموتى وروح القدس هو جبرائيل حامل الوحي الإلهي.

﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقۡتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِم﴾، أي لو شاء الله ما تقاتلت أمم هؤلاء الأنبياء فيما بينها بعد رحيل أنبيائها ولكنها سُنَّة إلهية أن جعل الله الإنسان حراً، ولكنه أساء الإستفادة من هذه الحرية ﴿وَلَٰكِنِ ٱخۡتَلَفُواْ فَمِنۡهُم مَّنۡ ءَامَنَ وَمِنۡهُم مَّن كَفَرَۚ﴾ ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ﴾، أي وفق الحكمة المنسجمة مع تكامل الإنسان، لأن التكامل الإجباري لا يعدّ تكاملاً.

الآية: (254)

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾.

التفسير:

تخاطب هذه الآية المسلمين وتشير إلى أحد الواجبات المهمة عليهم التي تسبّب في تقوية بنيتهم الدفاعية وتُوحِّد كلمتهم فتقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم﴾.

وجملة ﴿مِمَّا رَزَقْنَٰكُم﴾ لها مفهوم واسع حيث يشمل الإنفاق الواجب والمستحب، وكذلك الإنفاق المعنوي كالتعليم وأمثال ذلك، والإنفاق الواجب هو الزكاة، ثم تضيف الآية: ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ﴾.

الخلَّة: الصداقة العميقة.

﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ لأنهم بتركهم الإنفاق والزكاة يظلمون أنفسهم ويظلمون الناس.

والكفر: هو التمرّد والعصيان والتخلف عن طاعة أمر الله.

الآية: (255)

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾.

التفسير:

آية الكرسي من أهم آيات القرآن، وقد سأل رسول الله ﷺ أحد أصحابه أي آية في كتاب الله أعظم؟ فأجاب: (آية الكرسي) فقال رسول الله ﷺ: «**ليهنئك الله العلم**».

تبدأ الآية بذكر الذات المقدسة ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾، يعني الذات الواحدة الجامعة لصفات الكمال، إنه خالق عالم الوجود.

(**الحيّ**): أي من كانت فيه حياة تدل على الدوام والإستمرار.

(**القيّوم**): تدل على أن الله موجود بذاته وقيام كل الكائنات بوجوده، وإن لكل الصفات الإلهية كالعلم والقدرة والسميع والبصير وغيرها، هي مجموع هاتين الصفتين (الحي والقيوم) وقيل أنهما يمثلان الإسم الأعظم.

ثم تضيف الآية: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾.

(**السِنة**): النوم العارض للعين، ولكن عندما يصبح النوم عميقاً يقال له نوم.

وتشير هذه الآية إلى إستمرار العطاء الإلهي وديمومته وعدم انقطاعه عن الوجود لحظة واحدة ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾، أي: العالم كله ملك خاص لله بما فيها السماوات والأرض، إن التقيد بهذا المفهوم يعتبر عاملاً مهماً من عوامل تربية الإنسان وأنه ليس المالك الحقيقي لما يملك، وإنما يملكه لفترة قصيرة من الزمن، من أجل ذلك سيمتنع دون شك من الإعتداء على حقوق الآخرين، وعن الحرص والبخل والإحتكار، ويقنع بما يملك وبما قسَم الله له.

﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾، أي: لا أحد يتقدم للشفاعة إليه إلا بإذنه، لأنه ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾، أي لا أحد يعلم شيئاً بذاته، فجميع العلوم والمعارف البشريّة إنما هي من الله تعالى، وإذا شاء أن يضع بعض العلوم الغيبية عند أحد من عباده، يُطلعهُ على ما يشاء من أسرار الغيب.

﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾، معنى الكرسي والعرش يعني قدرة الله وهيمنته على السماوات والأرض وما يحيط بكل شيء من عالم الوجود.

الآية: (256)

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾.

التفسير:

الرشد: الهداية والوصول إلى الحقيقة.

الغيّ: تعني الإنحراف عن الحقيقة والإبتعاد عن الواقع.

وهذه الآية ردٌّ حاسم على الذين يتهمون الإسلام بأنه استعمَلَ القوّة والقدرة العسكريَّة في تقدُّمهِ وانتشاره ثم تقول الآية: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾

الطاغوت: صيغة مبالغة من الطغيان، ومعناها الإعتداء وتجاوز الحدود، وتطلق على كل من تجاوز الحد.

فالطاغوت، هو الشيطان والصنم والمعتدي والحاكم الجبار والمتكبّر وكل معبود غير الله، وكل طريق لا ينتهي إلى الله فهو طريق منحرف.

﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، أي أن الله عالم بما يكنُّه الناس في ضمائرهم وقلوبهم، لأن الكفر والإيمان ليسا من الأمور الظاهرية.

الآية: (257)

﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾.

التفسير:

تقول هذه الآية أن لكل من المؤمن والكافر قائداً وهادياً: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ﴾، فهم يسيرون في ظلّ هذه الولاية.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ﴾، فأولياء الكفار هم: الأوثان، والشيطان، والحاكم الجائر، وأمثال ذلك، ولهذا السبب ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

الآية: (258)

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾.

التفسير:

هذه الآية تتحدث عن أحد الطواغيت، وهي حوار بين إبراهيم عليه السلام وأحد الجبابرة ويدعى (نمرود) فتقول الآية: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ﴾ وتكمل الآية بجملة أخرى تشير إلى الدافع الأساسي لهذا التجبُّر وتقول أن ذلك الجبار تملكه الغرور والكبر وأسكره الملك ﴿أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ﴾، وهذه حقيقة وواقع نجده عند الكثيرين، حتى عند أفراد معتدلين ومؤمنين، ولكن عندما يصلون إلى مقام أو ثروة فإنهم ينسون الإيمان ويسحقون المقدسات.

تضيف الآية: أن ذلك الطاغوت سأل إبراهيم عن ربّه من هو هذا الإله الذي تدعوني إليه: ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾ لأن أعظم قضية في العالم هي قضية الخلق، والموت والحياة.

ولكن النمرود الجبار اتخذ طريق المجادلة والسفسطة وتزييف الحقائق لإغفال الناس والملأ من حوله، فقال: إن الموت والحياة بيدي ﴿قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ﴾، ومن أجل إثبات هذه الدعوى الكاذبة استخدم حيلة بإحضار سجينين، أطلق سراح أحدهما وقتل الآخر، ثم قال لإبراهيم، ألا ترى إني أحيي وأميت.

لهذا قام إبراهيم بتقديم دليلاً آخر لإحباط هذه الحيلة وكشف زيف المدّعي: ﴿قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ﴾، ﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ﴾، ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

صحيح أن الهداية والضلال من أفعال الله تعالى، إلا أن مقدماتها بيد العباد؛ فإرتكاب الآثام والظلم والجور والمعاصي تجعل على القلوب حُجباً مظلمة تمنع من إدراك الحقائق.

الآية: (259)

﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾﴾.

التفسير:

هذه الآية تقصّ حكاية أحد الأنبياء القدامى وهي من الشواهد الحيَّة على مسألة البعث، الآية تشير إلى حكاية رجل سافر على حمارهِ ومعه طعام وشراب فمرَّ بقريةٍ قد تهدَّمت وتحولت إلى أنقاض تتخللها عظام أهلها نخرة، وعندما رأى هذا المشهد المروّع قال: كيف يقدر الله على إحياء هؤلاء الأموات؟

عند ذلك أماته الله مدة مائة عام، ثم أحياه مرّةً أخرى وسأله: كم تظن أنك بقيت في هذه الصحراء؟ فقال يحسب أنه بقي سويعات، يوماً أو أقل، فخاطبه الله بقوله: بل بقيت هنا مائة سنة، أنظر كيف أنّ طعامك وشرابك طوال هذه لم يصبه أيّ تغيّر بإذن الله، ولكن لكي تؤمن بأنك قد أمضيت مائة سنة كاملة هنا أنظر إلى حمارك الذي تلاشى ولم يبق منه شيء بموجب نواميس الطبيعة بخلاف طعامك وشرابك، ثم انظر كيف أننا نجمع أعضاءه ونحييه مرَّة أخرى، فعندما رأى كل هذه الأمور أمامه قال: ﴿أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾، أي إنني الآن على يقين بعد أن رأيت البعث بصورة مجسَّمة أمامي.

ويقال أن هذا النبي هو (عزير) وهذا ما يفسر إلى انقضاء مائة عام ﴿وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ﴾، أي أنّ حكايتك هذه ليست آية لك وحدك، بل هي كذلك للناس جميعاً، ﴿وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ﴾ واضح أن العظام المقصودة هي عظام حماره المتلاشي.

الآية: (260)

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾﴾

التفسير:

يذكر القرآن الكريم حول مسألة المعاد، بعد قصة (عزير)، قصة عن إبراهيم عليه السلام ليكتمل البحث: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ﴾؛ طلب إبراهيم الرؤية والمشاهدة عياناً لكيفية حصول البعث. ﴿قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ﴾، وقد يتصور البعض أن طلب إبراهيم يدل على تزلزل في إيمانه، ولإزالة هذا التوهم، أوحي إليه السؤال: أولم تؤمن؟ وقد جاء جواب إبراهيم ليزيل كل التباس ﴿بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ﴾؛ ﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا﴾ أي خذ أربعة من الطير واذبحهنَّ وقطّعهنَّ واخلطهنَّ، ودعاهنَّ إبراهيم فتجمعت أجزاؤهنَّ المتناثرة وتركبت من جديد وعادت إلى الحياة وقد أُوضِحَ لإبراهيم عليه السلام أن المعاد يوم القيامة سيكون كذلك ولكن بشكل أكبر وأوسع.

الآية: (261)

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾.

التفسير:

تقول الآية الشريفة: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ﴾، فيكون المجموع المتحصِّل من الحبّة الواحدة سبعمائة حبَّة، وتقول الآية إن ثواب هؤلاء لا ينحصر بذلك:

﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾، كلٌّ حسب نيته وإخلاصه، ولا عجب في هذا الثواب الجزيل، لأن رحمة الله واسعة وقدرته شاملة وهو عليم بكل شيء ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

إن واحدة من الأهداف التي يسعى إليها الإسلام، هو إزالة الفوارق غير العادلة الناشئة من الظلم الاجتماعي بين الطبقتين الغنيَّة والفقيرة، ومن أجل ذلك وضع الدين الإسلامي برنامجاً واسعاً، يتمثل بتحريم الربا مطلقاً، وبوجوب دفع الضرائب الإسلاميَّة كالزكاة والخمس، والحث على الإنفاق والقرض الحسن، والمساعدات المالية المختلفة وأهم من هذا كله، إحياء روح الإخوَّة الإنسانية بين الناس.

الآية: (262)

﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾﴾.

التفسير:

يستفاد بوضوح من هذه الآية أن الإنفاق في سبيل الله لا يكون مقبولاً عند الله تعالى إذا تبعته منَّة أو أذى أو ألم للمعوزين والمحتاجين.

و ﴿لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾، ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، تطمئن هذه الآية المنفقين أن أجرهم محفوظ عند الله، فما كان عند الله باق وسيزيد من أجرهم وثوابهم.

وعن رسول الله ﷺ: «**من أسدي إلى مؤمن معروفاً ثم أذاه بالكلام أو منَّ عليه فقد أبطل صدقته**».

الآية: (263)

﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾﴾.

التفسير:

تقول الآية: أن الكلمة الطيبة للسائلين والمحتاجين أفضل من الصدقة التي يتبعها الأذى، ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ﴾، ﴿وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ﴾؛ ويجب أن يكون معلوماً أن ما تنفقوه في سبيل الله هو في الواقع ذخيرة لكم لإنقاذكم ونجاتكم لأن الله غير محتاج إليكم ولا إلى أموالكم، والله حليم في مقابل جهالاتكم.

عن النبيّ ﷺ: «**إذا سأل سائل فلا تقطعوا عليه مسألته حتى يفرغ منها، ثم ردّوا عليه بوقار ولين، إما ببذل يسير أو ردٍّ جميل، فإنه قد يأتيكم من ليس بإنس ولا جان ينظرونكم كيف تصنعون فيما خوَّلكم الله تعالى**».

في هذا الحديث يبين رسول الله ﷺ جانباً من آداب الإنفاق.

الآية: (264 و265)

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

التفسير:

في هاتين الآيتين نهيٌ للمؤمنين عن المن والأذى في إنفاقهم في سبيل الله،

لأن ذلك يُحبط أعمالهم، ثم يضرب الله مثلاً للإنفاق المقترن بالمن والأذى ومثلاً آخر للمنطلق من الإخلاص والعواطف الإنسانية.

يقول تعالى: ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ﴾، يشبه القرآن الإنفاق الذي يصاحبه المنَّ والأذى بتلك الطبقة الخفيفة من التراب التي تغطي الصخرة الصلدة والتي لا نفع فيها، بل إن بمظهرها الخادع تذهب بأتعاب الزارع أدراج الرياح وفي نهاية الآية يقول الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾، أي مثل هؤلاء الكافرين لا تليق بهم الهداية.

وفي الآية التالية: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾. والآية الشريفة تريد أن تقول: أن الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله لأن الإيمان متمكن من قلوبهم وأرواحهم وهو أشبه بمزرعة أرضها خصبة بحيث يكفيها الطلّ والمطر الخفيف وكذلك المطر الغزير لإيناع محاصيلها، وهي تعطي ضعف ما تعطي المزارع الأخرى، ومحصولها مفيد ووفير.

وفي ختام الآية تقول: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فالله سبحانه يعلم إذا كان الدافع على هذا الإنفاق إلهياً مقترناً بالمحبة والإحترام، أو للرياء المشفوع بالمن والأذى.

الآية: (266)

﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾﴾.

التفسير:

يضرب الله مثلاً آخر عن حاجة الإنسان الشديدة إلى الأعمال الصالحة يوم القيامة، وكيف أن الرياء والمن والأذى، تزيل بركة هذه الأعمال الصالحة. هذا المثل هو: كمزرعة مخضرَّة فيها أشجار متنوعة كالنخيل والأعناب تجري فيها

المياه، ولكن السنون نالت من صاحبها وتحلّق حوله أولاده الضعفاء، وليس لديهم إلا تلك المزرعة، وفجأة تهب عاصفة محرقة فتحرقها وتبيدها، فكيف يكون حال هذا الرجل. ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ﴾، إن حال أولئك الذين يعملون عملاً صالحاً ثم يحبطونه بالرياء والمن والأذى، أشبه بحال من تعِب وعانى، حتى إذا جاء وقت اقتطاف النتيجة ذهب كل شيء ولم يبق سوى الحسرات، ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ وهذا العمل لا يقوم به إلا الأحمق الذي يمنُّ على الناس، ولا يستعمل عقله وفكره، ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾.

الآية: (267)

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾﴾.

التفسير:

هذه الآية تبيّن نوعية الأموال التي يمكن أن تُنفَق في سبيل الله، وتأمر المؤمنين بأن ينفقوا من طيبات ما رُزقوا من الحلال: ﴿وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ﴾، وخير ما تنتجه الأرض، ﴿وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ۚ﴾.

اعتاد الناس أن ينفقوا مما يبقى عندهم لا قيمة له، ولا ينفع المحتاجين، هذا النوع من الإنفاق لا يربّي روح المُنفق ولا هو يفيد الفقير، بل لعله يكون إهانة له وتحقير، وقد يكون هذا الفقير ممَن درجتهم عالية في الإيمان، فتسبب له ألماً نفسياً، ولكنهم يغمضوا أعينهم ويتجاهلوا هذه الإهانة، وفي ختام الآية:

﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ أي لا تنسوا أن الله غني وليس بحاجة إلى عطاياكم ولكن وضع النعم في أيديكم ليختبركم، فيجب أن تحمدوه على هذه النعم.

الآية: (268)

﴿ٱلشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾﴾.

التفسير:

تشير الآية إلى أحد الموانع المهمّة للإنفاق وهو الوساوس الشيطانية، فتقول الآية في هذا الصدد: ﴿ٱلشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ﴾ وإضافةً إلى ذلك ﴿وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ﴾ والفحشاء هي كل عمل قبيح، وهنا معناها البخل وترك الإنفاق، وهذا العمل هو نوع من المعصية لله.

﴿وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ﴾ والله يَعِدِ المنفقين بغفران الذنوب ﴿وَفَضْلًا ۗ﴾ بازدياد مالهم، ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ إن قدرة الله واسعة وعلمه غير محدود، فهو عندما يَعد يفي بوعده، ولكن الشيطان ضعيف وجاهل بالمستقبل، وليس وعده إلا ضلال وتحريض على الإثم.

الآية: (269)

﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾﴾.

التفسير:

هذه الآية تتحدث عن الحكمة والعلم، لأن الحكمة والعلم والمعرفة هي

التي تجعل المؤمن يميز بين الدافع الرحماني أو الشيطاني، وتدعو الإنسان للجوء إلى الرحمة الإلهية وترك الوساوس الشيطانية، وعدم التسليم للتخويف من الفقر، فتقول الآية: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ﴾، والحكمة هي الوصول إلى الحق بالقول والعمل، ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾، ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾.

التذكر هو حفظ العلوم والمعارف و(اللب) هو قلب كل شيء ومركزه، والعقل هو اللب.

أي أن أصحاب العقول والقلوب النيّرة، هم الذين يحفظون الحقائق ويتذكرونها، فيشقّون طريقهم على ضوء نورها الساطع.

الآية: (270 و271)

﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾﴾.

التفسير:

﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ﴾، تقول الآية: إن كل ما تنفقونه في سبيل الله، سواء كان قليلاً أو كثيراً، من حلال أو من حرام، صادق النيَّة أو مرائياً، يتّبعه المن والأذى، أولم يتبعه، أوجبه الله، أم كان نذراً أوجبهُ الإنسان على نفسه، فإن الله يعلم تفاصيله.

وفي الختام تقول الآية: ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾؛ والظالمين إشارة إلى المحتكرين والبخلاء والمرائين الذين يتّبعون ما ينفقون بالمن والأذى، فهؤلاء لا ينصرهم الله، ولا ينفعهم إنفاقهم لا في الدنيا ولا في الآخرة.

ويستفاد من هذه الآية: وجوب العمل بالنذر الشرعي.

الآية: (272)

﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾﴾.

التفسير:

هذه الآية تقول: أن الإنفاق على غير المسلمين جائز، أي لا يجب ترك الإنفاق على المساكين والمحتاجين من غير المسلمين، وكان بعض المسلمين يمنعون الصدقة على غير أهل دينهم، وهو نوع من الضغط عليهم حتى يعتنقوا الإسلام، ولكن القرآن يقول في هذه الآية: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ﴾، فلا يصح إجبارهم على الإيمان، وترك الإنفاق عليهم وهو نوع من الإجبار، وهذا أسلوب مرفوض، والآية الشريفة تخاطب الرسول ﷺ إلا إنها في الواقع تخاطب المسلمين.

ثم تضيف الآية: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ﴾ وبعد ذلك تذكر الآية فوائد الإنفاق في سبيل الله، فتقول: ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾؛ يعني لا تظنوا أن إنفاقكم سيعود عليكم بربح قليل، بل إن جميع ما أنفقتم سيعود إليكم كاملاً في هذه الدنيا، وسينفعكم يوم القيامة، فلا ترددوا في الإنفاق أبداً.

الآية: (273)

﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾﴾.

التفسير:

نزلت هذه الآية في أصحاب الصفَّة وهم نحو أربعمائة رجل لم يكن لهم مساكن بالمدينة ولا عشائر يأوون إليها، فسكنوا المسجد، وكانوا يخرجون مع كل سريَّة يبعثها رسول الله ﷺ ليجاهدوا ويحاربوا في سبيل الله و ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي ٱلْأَرْضِ﴾؛ تبيّن الآية أن أفضل مواضع الإنفاق هي: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، أي الذين شغلتهم أعمال الجهاد ومحاربة العدو عن العمل للحصول على لقمة العيش هم الذين ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾، هؤلاء لا أحد يعلم عفة أنفسهم ويظنون أنهم من الأغنياء ولكنهم معروفون ﴿تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ﴾، فإن على وجوههم علامات تنطق بما يعانون يدركها العارفون عما خفي من أسرارهم.

ومن صفات هؤلاء أنهم لا يصرّون في الطلب والسؤال: ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ فهم يمتنعون عن السؤال لعزَّة أنفسهم.

لذلك على الآخرين الذين يتوفَّر لهم الرزق، أن يساعدوا هؤلاء المجاهدين، لأن عملهم أهم من كسب العيش، وهو جهاد في سبيل الله.

﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾، وهذا الإنفاق وإن كان سراً فله ثواب كبير عند الله، وهو عالم بهذا العمل الصالح.

الآية: (274)

﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾﴾.

التفسير:

تشير هذه الآية إلى كيفية الإنفاق فتقول: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾.

إن انتخاب طرق الإنفاق يجب أن تتم بمراعاة الأسلوب الأفضل للإنفاق، ومراعاة الجوانب الأخلاقية، وإن صدقة السرّ، هي الأفضل في معظم الأحيان، وقد يكون إظهار الصدقة علانية مطلوب ونافع في بعض الأحيان الأخرى.

ثم تضيف الآية: ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾؛ لأنهم يعلمون أن ما أنفقوه سينالون أضعافه من فضل الله ومن بركاته في الدنيا والآخرة.

الآية: (275 و276 و277)

﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾﴾.

التفسير:

في هذه الآيات يدور الكلام على الرّبا الذي يقف في الجهة المضادة للإنفاق. فيقول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ والآية تشبِّه المرابي بالمصروع والمجنون الذي لا يستطيع الإحتفاظ بتوازنه عند السير فيتخبط بخطواته.

إن الذين يسعون إلى اكتناز الثروة برغبة جنونية وبغير تعقل سيحشرون يوم القيامة كالمجانين، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ﴾، ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ﴾.

تقول الآية: أن الربا حرام، ومن أطاع هذا الحكم، فله الأرباح الماضية، ولكن عليه أن يتوقف عن العمل بالرّبا ﴿وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا

خَٰلِدُونَ﴾ أي من يواصل تعاطي الرِّبا من بعد هذا التحذير وأصرَّ على ذلك فهو مستحق للخلود في النار.

ثم تبين الآية التالية: الفرق بين الرّبا والصَدقة فتقول: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ﴾ ثم تضيف: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾.

المَحْق: هو النقص التدريجي.

ويُربي الصدقات: أي يزيدها ويُنميّها.

بالمقابل هناك أشخاص ينفقون من رؤوس أموالهم وثرواتهم يقضون بها حاجات المحتاجين، فهؤلاء يحظون بمحبة الناس لهم، إضافة إلى أن أموالهم تنموا وتزيد وهذا ما تعنيه الآية: ﴿وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ﴾، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾؛ أن المؤمنين الذين تركوا الأنانية وحب الذات وارتبطوا بالله بإقامة الصلاة، وأسرعوا إلى دفع الزكاة لمساعدة المحتاجين، فهؤلاء لا يعرفون الحزن ولا القلق.

الآية: (278 و279 و280 و281)

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍۚ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾.

التفسير:

في الآية الأولى يخاطب الله المؤمنين ويأمرهم بالتقوى ثم يأمرهم أن يتنازلوا عما بقي لهم في ذمَّة الناس من فوائد ربوية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

هذه الآيات بدأت بذكر الإيمان وانتهت بذكره، مما يدل على عدم انسجام الرّبا مع الإيمان بالله، وتنذر بلهجة صارمة وشديدة، الذين يتعاملون بالربا أنهم إذا استمروا في امتصاص دماء الكادحين المحرومين، فلا يسع رسول الله ﷺ إلا أن يستعمل القوّة لإيقافهم عند حدِّهم وإخضاعهم للحق وهذا بمثابة إعلان حرب عليهم: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾، ﴿وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ أي إذا تبتم وتركتم تعاطي الربا فلكم أن تسترجعوا من الناس المدينين رؤوس أموالكم فقط بدون ربح، وهذا قانون عادل وعام.

﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾، أي على من يملك المال أن ينظر نظرة رحمة للمحتاج ويمهله مزيداً من الوقت لتسديد أصل الدين، عند القدرة والإستطاعة، ﴿وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾. وهذه الآية تذكِّر المؤمنين بأن يكون لهم أخلاق سامية وإنسانية، وأن من الأفضل لهم أن يتنازلوا للمحتاجين عما بقي لهم بذمتهم.

وبعد أن بيّن القرآن الحكيم بتحريم الربّا، يطرح تذكيراً عاماً شاملاً بيوم الجزاء والحساب، وأن جميع أعمال الإنسان سيجدها حاضرة يوم القيامة من خير أو شر ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾، لأن للرّبا أثراً سيئاً في المجتمع فهو يثير الكره والضغينة في قلوب الفقراء، ويفصم عُرى التعاون الاجتماعي بين الأفراد والجماعات.

الآية: (282)

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ

ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓاْ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا ۗ وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ ۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ۚ وَإِن تَفْعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾﴾.

التفسير:

تضع هذه الآية بنود وتعليمات لتنظيم الشؤون المالية، وهي أطول آيات القرآن.

تقول الآية: إذا أقرض شخص شخصاً آخر، أو عقد صفقة أو استدان، يجب أن يكتب بينهما عقد بتفاصيله حتى لا يقع خلاف ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ۚ﴾، وعلى الكاتب أن يكون شخص ثالث، وله معرفة بأحكام كتابة العقود وشروطها. ﴿فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ﴾، أي المدين ﴿سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ ۚ﴾، وعلى الطرفين أن ﴿وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ﴾، ويجب أن يكون الشاهدان بالغين ومسلمين: ﴿مِن رِّجَالِكُمْ ۖ﴾ ﴿فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ﴾ ولا بد أن يكونا الشاهدان موضع ثقة: ﴿تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ﴾، وسبب اعتبار شهادة امرأتين تعدل شهادة رجل واحد، لأن المرأة كائن عاطفي وقد تقع تحت تأثير عاطفي خارجي، فوجود امرأة ثانية: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ۚ﴾، وعلى الشهود أن يحضروا من دون تأخير: ﴿وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ ۚ﴾، ويجب كتابة الدين: ﴿وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا﴾.

وتشير الآية: أن هذه الأحكام لتنظيم العقود، هي لتحقيق العدالة. ﴿ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓاْ ۖ﴾، ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾؛ ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا ۗ﴾، أي إذا كان التعاقد نقداً فلا ضرورة للكتابة.

وآخر حكم، هو أن لا يتضرر أيٌّ من الكاتب أو من الشهود بسبب تأييدهم

الحق والعدالة، وإذا آذى أحدكم شاهداً أو كاتباً لقوله الحق فهو إثم وفسوق. ﴿وَإِن تَفْعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْۗ﴾، وأخيراً تقول الآية: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾، أي إن النفوس النقية والورِعة والتي تخشى الله، فهؤلاء يحصل لهم أثر عميق في زيادة المعرفة والإطلاع، والله يُعلِّمهم من علمِهِ وحكمته.

الآية: (283)

﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُواْ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌۖ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥۗ وَلَا تَكْتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾﴾

التفسير:

في هذه الآية تكمل البحث في الآية السابقة وتشتمل على أحكام أخرى.

﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُواْ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌۖ﴾، أي إذا لم يكن هناك من يكتب لكم العقد، كأن يقع ذلك في سفر، عندئذ على المدين أن يضع شيئاً عند الدائن باسم الرهن كي يطمئن الدائن.

وهذا القانون لا يختص بالسفر فقط، وكلمة: ﴿وَلَمْ تَجِدُواْ كَاتِبًا﴾ تبين القصد بأنه في حال عدم الوصول إلى كاتب عدل، أن يكتفيا بالرهن حتى في مواطنهما. ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥۗ﴾، وهذه الأحكام السابقة تكون في حال عدم وجود ثقة، وإلا فلا حاجة لكتابة العقد، ولكن على المدين، أن يسدّد دينه في الوقت المعيَّن وأن لا ينسى تقوى الله، ﴿وَلَا تَكْتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥۗ﴾ أي أن الشهادة واجب عندما لا يثبت الحق إلا بهذه الشهادة ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾.

الآية: (284)

﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٢٨٤﴾.

التفسير:

تقول هذه الآية: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ﴾، أي أن الله يعلم جميع أفعال الإنسان الظاهرية والباطنية، فلا تتصوروا أن أعمالكم الباطنية من كتمان الشهادة أو الذنوب القلبية، سوف تخفى على الله مالك السماوات والأرض.

﴿فَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾، أي هو قادر أن يحاسبكم فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء.

الآية: (285)

﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥﴾.

التفسير:

لقد بدأت سورة البقرة بتبيان بعض المعارف الإسلامية والاعتقادات الحقّة، واختتمت بها، وقد ذكر بعض المفسرين، أنه لمّا نزلت آية: ﴿وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ﴾، فخافوا وأشفقوا من أن الله سيحاسبهم على ما في قلوبهم من ذنوب، فلجأوا إلى الدعاء والتضرع، فمدحهم الله وأثنى عليهم، ورفع المشقة عن الخواطر بالذنوب وكانت هذه ثمرة الطاعة والتوجه إلى الله.

فتقول الآية في البداية: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ﴾، وقد امتاز الأنبياء عن غيرهم بالطاعة والإيمان القاطع واليقين، واستقاموا وصبروا قبل الآخرين. ثم تضيف الآية: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾، فالمؤمنون إضافةً إلى إيمانهم الراسخ والجامع فقد أطاعوا وعملوا واستغفروا ربهم.

وهكذا يتناغم الإيمان بالمبدأ والمعاد مع الإلتزام العملي بجميع الأحكام الشرعية والدساتير الإلهية.

الآية: (286)

﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٨٦﴾.

التفسير:

هذه الآية تتعلق أيضاً بالأشخاص الذين استوحشوا من الآية السابقة بأن الله مطّلع على نواياهم وسيحاسبهم عليها، فقالوا لا أحد يصفو قلبه من الوسوسات والخواطر القلبية. فتقول هذه الآية: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ﴾ فالأحكام تتحدد في إطار قدرة الإنسان، ثم تقول: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ﴾ فالكل يتحمّل مسؤولية وعواقب أعماله، وليس لأحد أن يتبرأ من عواقب أعماله، وهو أيضاً غير مسؤول عن أعمال الآخرين.

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ﴾، أي المؤمنون يخاطبون الله قائلين: إذا كنا قد أذنبنا بسبب النسيان أو الخطأ فاغفر لنا ذنوبنا وجنّبنا العقاب ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ﴾.

الإصر: هو الحمل الثقيل.

وهنا يطلب المؤمنون أن يرفع الله عنهم الواجبات الثقيلة، والإمتحانات الصعبة، والعقوبات التي لا تطاق، ﴿وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾، ﴿أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

نهاية سورة البقرة